٨

صفحات من تاريخ آثوريي كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى

تحقيق تاريخي عن اغتيال الزعيم الآثوري

بنيامين مارشمعون

من خلال النصوص التاريخية

ياسين خالد سردشتي

مدرس التاريخ الحديث المساعد / كلية الآداب / جامعة دهوك

مراجعة وتقديم

الدكتور عبدالفتاح علي بوتاني

دهوك ١٩٩٩

صفحات من تاريخ آثوريي كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى
تحقيق تاريخي عن اغتيال الزعيم الآثوري بنيامين مارشمعون من خلال النصوص التاريخية

* ياسين خالد سردشتي
* مراجعة وتقديم: الدكتور عبدالفتاح علي بوتاني
* الطبعة الاولى
* مطبعة خه بات- دهوك - ١٩٩٩
* تنضيد: ربيع الاخلاطي
* تصميم: بائيز عمر احمد
* تصميم الغلاف: محمد ملا حمدي



اذا وقعت واقعة لاتضحك ولاتبكِ.. ولكن فكّر

سبينوزا

الاهداء

- الى خطيبتي الغالية (هه وار)
- الى الجيل الكوردي الناشيء المؤمن بالحرية والديمقراطية والاستقلال.
- الى من يبحث ويدافع عن الحقيقة في كل زمان ومكان اليهم اقدم هذه الصفحات.

شكر وثناء

اذا كان لابد من تقديم كلمة شكر فعلي قبل كل شيء ان اقدم شكري وامتناني العميقين لهيئة تحرير مجلة (مه تين) واخص بالذكر رئيس تحريرها الاخ الكريم فهيم عبدالله الذي كانت له المبادرة الاولى في العمل لاعداد هذا الكتيب، كما اشكر بحرارة الاستاذ الفاضل الدكتور عبدالفتاح علي يحيى البوتاني، لتفضله بمراجعة هذه الدراسة تأريخياً ولغوياً وتقديمه لها، فضلاً عن ارشاداته القيمة اثناء كتابتها، كما واشكر الاخوة المحررين في المجلة رشيد محمد صالح الدوسكي وديار محمد سعيد الدوسكي لما بذلوه من جهد ووقت في قراءة مسودات الدراسة وتصحيح اخطائها.

ياسين سه رده شتي

تقديم

لم اكن ارغب الخوض او البحث في مسألة الاثوريين الشائكة، ولكن ونزولاً عند رغبة الباحث الشاب ياسين خالد سردشتي، الذي طلب مني مراجعة مسودة بحثه الموسوم «صفحات من تاريخ اثوري كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى، تحقيق تاريخي عن اغتيال الزعيم الاثوري بنيامين مارشمعون من خلال النصوص التاريخية» وتسجيل ملاحظاتي واقتراحاتي وآرائي عليه، دفعني ان لا ارفض طلبه في تقديم ذلك البحث للقراء، بعد ان تعهدت مجلة متين الغراء بتعضيد طبعه على شكل كتيب، هذا فضلاً عن رغبتي في تسجيل عدد من الملاحظات عن وضع الاثوريين الان في كوردستان وموقفهم منه.

بدءاً اود ان اقول، ان السيد ياسين اعتمد في كتابة بحثه على المنهج العلمي وعلى خطة علمية في الكتابة، لذا جاءت الكثير من المعلومات التي وردت في بحثه، بعد تدقيقها وتحليلها ومقارنتها، وبالاعتماد على مصادر معتبرة، حقائق مقنعه ورصينة وقريبة من وقائع التاريخ الاثوري المعاصر، وهذا يفسر لنا نيل بحثه اهتمام طلاب التاريخ والكتاب المعنيين بهذه المسألة وبالاراء التي طرحها.

اما الطلاب الاثوريون الذين عقبوا على البحث، ففي رأيي انهم لم يكونوا موفقين في تعقيبهم، فقد كانوا في بعض ما اوردوه مجافين للعلم وحرمته، وتداخلت عندهم الحدود، حدود العاطفة بالتاريخ، واختلط عندهم الحابل بالنابل، كما يقال، ويظهر ذلك واضحاً من تعقيب السيد ياسين عليهم، ذلك التعقيب الذي كان يهدف من ورائه، الحفاظ على كرامة التاريخ وسلامته وحق التاريخ وواجبه.

لست هنا بصدد الدفاع عن السيد ياسين الذي تمكن من الدفاع عن ماكتبه وبجدارة بدليل انه سجل الكثير من الاهداف في مرمى الطلاب الاثوريين، واعتقد ان الكرة ما

زالت في ملعبهم، ولكن اود ان انوه هنا، لعل ابرز ما يحط من مصداقية الكاتب في التاريخ هو التجاؤه الى اساليب مرفوضة في التدوين التاريخي، الا وهي تزييف الحقائق التاريخية ومحاولة تشويهها، وذلك بالتركيز على الجوانب السلبية، دون مراعاة الجوانب الايجابية، التي يجب ان تبنى على اسس واقعية، مع ملاحظة الماضي، فالمجموعة لم تتصف باهم الصفات التي يجب توفرها في كل من يتصدى الكتابة في التاريخ، وهي صفة الموضوعية وذكر الحقائق التاريخية التي يجب ان تقال حتى ولو كانت مرة. فالادلة والدعاوي التي اوردتها المجموعة الطلابية في تعقيبها لاتقوم على الاسس والادلة التاريخية الواقعية.

اعود فاقول: ان المؤرخين وحتى بعض الذين نقل منهم المجموعةلم يستطيعوا ان يجزموا، او يضعوا حداً لحقيقة انتساب الاثوريين الى الاشوريين، اذ يعتقد العديد من الكتاب والمؤرخين ومن مختلف الاتجاهات والمدارس التاريخية، ان الاثوريين عشائر من العنصر الكوردي دماً وعنصراً وعادة وسحنة، اعتنقوا الديانة المسيحية واتخذوا لغة الكنيسة بديلاً عن لغتهم الاصلية فهم اذن بقايا المسيحيين الكورد الذين رفضوا اعتناق الدين الاسلامي، وحافظوا على دينهم بالتحصن والمقاومة في الجبال المنيعة، او بدفع الجزية للدول الاسلامية التي تعاقبت على حكم كوردستان، حتى ان المقيم البريطاني كلوديس جيمس ريج كتب سنة ١٨٢٠ عنهم يقول: «قوم غريبوا الاطوار يعيشون في عزلة ووحشية تامة، انهم اوحش عشائر جوله ميرك وهكاري».

وكتب الكاتب المعروف يوسف يزبك عن الاثوريين ومسألة انتسابهم للاشوريين قائلاً: ان هؤلاء البسطاء رأوا لهم مفخرة بالانتساب الى قوم انقرضوا وزالوا عن الوجود، ومسحوا عن جغرافية الدنيا تماماً، فبدأوا يسمون اولادهم اسماء اشورية.

ويشير مارك سايكس (١٨٧٩-١٩١٩) الذي قطع مسافة (٧٥٠٠) ميل في كوردستان، الى وجود عشائر كوردية تحولت الى المسيحية وان عشيرة محلمي (Mahalemi) وعلى حد قول افرادها كانوا مسيحيين قبل (٣٥٠) سنة، فضلاً عن وجود عشائر ارمنية وكوردية من اصل مشترك، كما ان عشيرة السندي كانت وما تزال عشيرة مختلطة من المسلمين والمسيحيين، ولكن كهنة الاثوريين والارمن كانوا ضد هذه الفكرة.

ومن الجدير بالذكر ان مارك سايكس وفي معرض حديثه عن الاثوريين ويسميهم نساطرة هكاري، يقول : ان مسألة ما اذا كان هؤلاء المسيحيون النساطرة في هكاري، والذين لديهم تنظيم قبلي، من الكورد المحليين او مسيحيين لاجئين من فرع آرامي ما يزال مسألة قيد البحث، ان العديد من الوجهاء الكورد المتعلمين يرون ان نساطرة هكاري من الكورد الذين اعتنقوا المسيحية قبل مجيء الاسلام، ومن جهة اخرى فان

رجال الدين المسيحيين مقتنعون بقوة بان المسألة ليست كذلك، وانني شخصياً اشك في ان كلتا النظريتين صحيحة جزئياً، وان المسيحيين عندما هربوا من الموصل والعراق لجأوا الى المسيحيين الكورد في هكاري، ان هذا سيجعل العوائل الاسقفية (Episcopal) قادمين جدد، بالضبط مثلما يرجع بعض الزعماء (او الشيوخ) المسلمين الكورد نسبهم الى امراء عرب. واعتقد ان سايكس يقصد بقوله الاخير ان انتساب نساطرة هكاري لغير الكورد يشبه ادعاء بعض الزعماء والشيوخ الكورد النسب العربي، ولايذكر سايكس في كل ما كتبه عن اية علاقة تربط الاثوريين بالاشوريين.

اما الميجر نوئيل فيؤكد مع بيان السبب ان الاثوريين كورد آمنوا بالمسيحية، وانهم كانوا يتكلمون اللغة الكوردية ولهم تنظيمات قبلية تشبه انظمة العشائر الكوردية المحيطة بهم.

اما وثائق الحكومات العراقية المتعاقبة مثل ادلة العراق لسنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٦٠، واقسام التاريخ والاثار في جامعات العراق كافة فلا تعد الاثوريين آشوريين، بل تعدهم قبائل نسطورية اغراهم الروس بالوقوف الى جانبهم خلال الحرب العالمية الاولى، فهاجمهم العثمانيون واقتلعوهم من منطقتهم في هكاري، فاستقبلتهم بريطانيا وجندت زهاء الفين من شبابهم عرفوا بـ «الليفي» [المجندون]، واطلقتهم ضد حركات العرب والكورد المعادية لها، وقد تخلى عنهم الانكليز بعد ان ادوا بهم مهامهم المطلوبة، فاصبحوا تحت رحمة الحكومة العراقية التي كانت تنظر اليهم مجرد غرباء قذفتهم موجات الحرب العالمية الاولى الى العراق، وقد نظمت لهم وبالتعاون مع بريطانيةمذبحة مروعة في آب ١٩٣٣، ولم يشهد العراق وكوردستان لهم اي نشاط سياسي يستحق الذكر حتى سنة ١٩٩١.

ان اشهر علماء الاثار والاشوريات والانثربولوجيا في العراق المرحوم طه باقر والذي كان محسوباً على التيار الوطني الديمقراطي وميالاً للشيوعية، لم يقر دعوى (الاثوريين) بالانتساب الى الاشوريين، والى هذه اللحظة لايستطيع علماء ومؤرخو الاثار والاشوريات والمختصون في تاريخ العراق القديم مثل: الدكتور فاضل عبدالواحد ذنون، والدكتور وليد الجادر والدكتور فاروق ناصر، والدكتور علي ياسين الجبوري والدكتور سامي سعيد الاحمد والدكتور عامر سليمان، وجميعهم اساتذة مختصون ومن خريجي الجامعات الاوربية لايستسيغون دعوى (الاثوريين) على انهم من بقايا الاشوريين، حتى انهم اهملوها ولم تعد هذه المسألة موضع نقاش منذ زمن، ويكاد ان يتفق اللغويون وكل من تطرق الى هذه المسألة وبشكل علمي، على ان اللغة التي يتكلم بها الاثوريون هي اللغة الارامية (لغة الانجيل) وهي لغة الكلدان كذلك.

ومن المعروف لدى علماء الاشوريات (Assyrolghy) ان الاشوريين دونوا باللغة الاكدية اي نستطيع ان نسمي لغتهم باللغة الاكدية- اللهجة الاشورية.

ومن المناسب ان نذكر ان دعوى (الاثوريين) بالانتساب الى الاشوريين، ليست قديمة جداً، بل جاءت في مطلع هذا القرن ولم يكن لهم قبل هذا التاريخ ادب مستقل او اية دعوى قومية.

ان مشكلة الاثوريين الكبرى، انهم يفتقدون الى اهم عنصر من عناصر القومية الا وهو الارض (جسد القومية) فهم اقلية دينية ديموغرافية لايتجاوز عدد افرادها في كوردستان المحررة العشرة الاف نسمة مبعثرين هنا وهناك ۹۰٪ منهم كانوا قد نزحوا من هكاري اثناء الحرب العالمية الاولى، ويئسوا من العودة الى ديارهم وتوزعوا منذ شتاء عام ۱۹۲۱في بادينان وكما يلي:

٦۹۰۰ نسمة في شمال العمادية

۱۱۰۰ نسمة في منطقة العمادية

۲٤٥۰ نسمة في دهوك وعقرة والشيخان وزاخو[1].

ان عدم تواجد الاثوريين على مساحة معتبرة خاصة بهم او حتى ناحية يشكلون فيها الاكثرية مثل الكلدان، دفع المتطرفين منهم الى الادعاء بان معظم كوردستان هي في الاصل بلادهم، وان كل المسيحيين وعلى الرغم من انتماءاتهم الكنسية،هم آثوريون ويفسر هذا احجامهم عن ذكر كلمة كوردستان في ادبياتهم ووسائل اعلامهم التي ازدهرت في ظل حكومة اقليم كوردستان العراق. وفي رأيي ان اهم الاسباب التي دفعت سمكو شكاك لقتل المار شمعون، فضلاً عن الاسباب الاخرى التي ذكرها السيد ياسين، هو تصريحه علناً وامام سمكو بان كوردستان «كانت ارضنا » وهو نفس ما يصرح به الكثير من الاثوريين اليوم وبدون اية مراعاة لمشاعر الكورد، ولما كان سمكو من القوميين الكورد وذو تطلعات قومية واسعة بدليل تعاونه مع الشيخ عبدالسلام البارزاني وعبدالرزاق بدرخان والشيخ محمود الحفيد، وعلى اطلاع بالعلاقات الاثورية البريطانية، فانه اقدم على قتل المار شمعون ليضع حداً لاحلامه غير الواقعية. ولكن ولتشويه سمعة هذا القائد الكوردي، والتقليل من اهمية ما قام به حينذاك، اتهم بانه قتل المار شمعون بتحريض من ايران او تركيا ثم بريطانيا. ويؤكد ما ذكرناه جواب سمكو على اسئلة مصطفى باشاياملكي (ينظر جوابه في متن الكتاب).

ولانستبعد اطلاع سمكو شكاك على ما كان للاثوريين من امر مع امير بوتان بدرخان باشا، اذ يكاد ان يتفق الذين كتبوا عن حركة بدرخان الاستقلالية عن الدولة العثمانية، بان التمرد الاثوري عليه كان العامل المباشر والحاسم في سقوط حكومته، وانه كان للمبشرين الانكليزوالامريكان والفرنسيين دور بارز في اثارتهم وتحريضهم

ضد الامير، فقد طلب المار شمعون علناً نوعاً من الحماية البريطانية، وخاطب ابن اخ له رسول امير هكاري قائلاً «نحن لسنا خاضعين لكم وان ديارنا الان هي ملك هذا الرجل» واشار الى المبشر الامريكي بادجر، الذي كان قد وصل هكاري سنة ١٨٤٣. والذي يحز في النفس في الوقت الحاضر ان بعض الذين يدعون الاشورية ويقيمون في اوربا وامريكا وسوريا[٢]، دأبوا وما زالوا دائبين على تشويه سمعة حكومة اقليم كوردستان او (الادارة الكوردية)، وذلك بتقديم مذكرات الى الحكومات الاوربية تتضمن شكاواهم «على التجاوزات والاعتداءات والاجراءات القمعية» التي يتعرض لها المسيحيون الكوردستانيون، لاسيما « ابناء الشعب الاشوري».

ان مضامين مذكراتهم الثقافية والمعاناة المختلقة التي يدعون ان المسيحيين يعانونها هنا في كوردستان، في الحقيقة ما هي الا استفزازات لحكومة الاقليم وتشويه لسمعتها. لان الجميع يعلم هنا انه ليس هناك من يتدخل في شؤون المسيحيين ولامن يلاحقهم، ولامن يمنعهم عن الكتابة والقراءة بلغتهم، وهناك العديد من المسيحيين لاسيما من الاثوريين في البرلمان الكوردستاني وفي حكومة الاقليم، ولم يكن هذا موجوداً في تاريخ الدولة العراقية، فضلاً عن وجود التنظيمات السياسية التي تعمل بكل حرية والتي تمتلك الصحف ومحطة تلفزيونية.

لو فرضنا جدلاً ان كل مسيحي في كوردستان هو اثوري كما يحلو للاثوريين (الاشوريين) ادعاء ذلك، فيوجدالان في حكومة اقليم كوردستان- العراق ٣ وزراء ووكيل وزير من المسيحيين فضلاً عن ستة اعضاء في البرلمان الكوردستاني. وهذه المناصب والمقاعد البرلمانية كثيرة ولا تتناسب والحجم السكاني للمسيحيين الساكنين في المنطقة المحررة.

ومن المفيد ان نذكر بهذه المناسبة ان القوانين التي صدرت بحق المسيحيين في ظل الحكومة المركزية هي:

(١) قرار رقم (٢٥) في ١٦ نيسان ١٩٧٢ والخاص بمنح الحقوق الثقافية للناطقين باللغة السريانية وتأسست هيئة سريانية في المجمع العلمي العراقي لم تمارس عملها، وافتتح قسم اللغة السريانية في جامعة بغداد لمدة سنة ثم اغلق.

(٢) قرار اعادة تخطيط الحدود بين الوحدات الادارية في مناطق سكن الاقليات القومية في ١٣ ايلول ١٩٧٢، ولم ينفذ.

(٣) قرار العفو عن الاثوريين المشتركين في حوادث سنة ١٩٣٣، وصدر في ٢٥ كانون الاول ١٩٧٢.

وكان للسريان مجلة حكومية واحدة تصدرها الهيئة السريانية في المجمع العلمي العراقي باسم «حويودو» الاتحاد، وتوقفت عن الصدور بعد صدور بعض الاعداد.

اما ما اصدرته حكومة اقليم كوردستان من القوانين بحق المسيحيين الى الان فاذكرمنها:

(١) قانون صدر سنة ١٩٩٢ يقضي بتخصيص مقاعد لممثلي المسيحيين في البرلمان.
(٢) قرار اعتبار يوم ١ نيسان من كل عام رأس السنة الاثورية.
(٣) اعتبار يوم ٨ آب من كل عام يوماً للشهيد الاثوري.
(٤) قرار صدر سنة ١٩٩٢ يقضي بتدريس اللغة السريانية.
(٥) المسيحيون يقرؤون بلغتهم السريانية في المدارس الابتدائية وافتتحت مؤخراً اول متوسطة في دهوك باسم نصيبين يدرس طلابها جميع المواد باللغة السريانية.
٦- استحدثت وزارة الثقافة في الاقليم مديرية الثقافة السريانية.

مهما يكن، ارجو ان لااكون قد اغضبت الاثوريين لاسيما غير الواقعيين منهم، فالذي تعلمته في دورس التاريخ هو ان تاريخ الاثوريين تاريخ ديني وليس قومي، بدليل ان الاثوري في رأيهم يجب ان يكون مسيحياً او هكذا يستنتج الان، فهم قبائل مسيحية نسطورية كانت تسكن قبل الحرب العالمية الاولى في كوردستان تركيا ومنذ فجر التاريخ في جبال هكاري المنيعة وكانت تعيش في انعزال شبه تام لم تجد الحضارة اليهم سبيلاً مثل بعض العشائر الكوردية.

ومع كل هذا ومهما تكن الاراء عن اصول الاثوريين القديمة، فانهم اليوم يعدون انفسهم قومية تدين بالديانة المسيحية، ويجهد مثقفوهم وتجهد احزابهم السياسية لاثبات ذلك على انهم من بقايا الاشوريين الذين اسسوا امبراطورية كبيرة في تاريخ الشرق القديم والتي سقطت سنة ٦١٢ ق.م بايدي القوات الميدية والبابلية المتحالفة، ودمرت عاصمتها نينوى.

واخيراً يحضرني هنا قول زعيم الكورد الخالد القائد مصطفى البارزاني، والذي قاتل الكثير من الاثوريين تحت لوائه في ثورة ١١ ايلول ١٩٦١: «ان الكوردي هو الذي تكون مشاعره كوردية».

وحسب هذا التعريف، فان الاثوري الذي يشعر بانتمائه الى القومية الاثورية له كل الحق بان يفخر بذلك، الا ان الادعاء بان الاثوريين هم سليلوا الامبراطورية الاشورية، فامر لم يستطع المؤرخون اثباته تاريخياً وعلمياً بعد، ولا اعتقد اني ابتعد عن الحقيقة بحق الاثوريين، وان ما كتبته دليل على نعمة الاجواء الديمقراطية التي يتمتع بها الجميع في ظل حكومة اقليم كوردستان الديمقراطية.

الهوامش:

(١) نزح معظم الاثوريين من المناطق المذكورة الى وسط وجنوب العراق او الى اوربا وامريكا، بعد اندلاع الثورة الكوردية في ١١ ايلول ١٩٦١، واظن انه لم تعد هناك قرى اثورية خالصة في محافظة دهوك.

(٢) القى السيد سعيد لحدو في مطلع سنة ١٩٩٦ محاضرة في القامشلي عن الكورد وعلاقتهم بالاثوريين في القرن التاسع ومطلع القرن العشرين، وصدرت تلك المحاضرة مع تعقيبات الحاضرين في كتاب بعنوان «التيه ومسالك الحكمة، مدخل الى حوار كردي اشوري» سنة ١٩٩٨. والغريب في المحاضرة ان السيد المحاضر يضع الاثوريين النساطرة في صف القومية الارمنية العريقة وماتعرضوا له في حجم المأساة التي تعرض لها الارمن، وفي رأيه ان السبب كان كون الارمن والاثوريين مسيحيين، ولم يجهد نفسه في البحث عن الاسباب، ثم ان قضية الارمن القومية تختلف عن قضية الاثوريين التي ظهرت اثناء الحرب العالمية الاولى، فالارمن من اعرق القوميات في المنطقة ومقوماتهم القومية واضحة، اما الاثوريون فمجرد قبيلة كبيرة تحالفت مع الروس ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى، ولم تكن للاثوريين مطالب قومية قبل هذا التاريخ.

وفي الكتاب الكثير من المغالطات، مثل احتلال الكورد لاراضي الاثوريين والطلب من الكورد بان لايعدوا بدرخان باشا بطلاً قومياً كوردياً، لانه قتل بضعة مئات من الاثوريين الذين تمردوا على حكومته بتحريض المبشرين.

اما السيد كبرئيل كورية فيطلب من الكورد، في تعقيبه على المحاضرة، ان لايستخدموا مصطلح كوردستان ليكونوا واقعيين، ويفخر هو بعدم استخدامه واستخدام «شمال العراق» بدلاً منه، ربما يريد من الكورد ان يستخدموا مصطلحاً جديداً وهو «اشورستان» والاغرب من هذا كله هو وضع (لحدو) الشعب الكوردي باكمله في «قفص الاتهام» والطلب منه الاعتراف والاعتذار للاثوريين الذين قتل اجدادهم في عهد بدرخان او في اثناء الحرب العالمية الاولى، ويرى كورية بانه اذا تحرر الكورد وامتلكوا القوة، فانهم سيذبحون الاثوريين مرة اخرى، وصور السيدان كورية ولحدو الاثوريين اناساً وديعين لطيفين مسالمين لم يرتكبوا في حياتهم اي خطأ.

الدكتور
عبدالفتاح علي بوتاني
دكتوراه في تاريخ العراق الحديث
كلية الآداب/ جامعة دهوك

صفحات من تاريخ آثوريي كوردستان
ابان الحرب العالمية الاولى..
تحقيق تاريخي عن اغتيال الزعيم الآثوري
بنيامين مارشمعون
من خلال النصوص التاريخية

عندما يأتي الحديث عن الاثوريين يقال دائماً بانهم احد اقدم شعوب الشرق الاوسط والعالم، وهذه حقيقة ليست لدينا اي اعتراض عليها، ولكننا لانعرف حتى الان، وعلى وجه الدقة والتحديد، جذورهم التاريخية، واصل تسميتهم* وفترة ظهورهم في كوردستان، واسباب وكيفية تشتتهم في جبالها، ولان التاريخ الآثوري لم يدرس الى الان بشكل مفصل ودقيق واكاديمي لذلك لاتزال هناك حلقات مفقودة وجوانب مظلمة في تاريخهم وتحتاج الى الجهد الشاق والعمل المضني لألقاء بعض الضوء على حقائق الاحداث التاريخية في حياة هذه المجموعة الاثنية الدينية الطائفية المستقلة المشتتة في كوردستان، والتي لم يكن لديها على مر تاريخها الطويل في المنطقة اي كيان سياسي مستقل خاص بها، بل كانت دوماً تحت حكم الامبراطوريات، والدول والامارات التي حكمت المنطقة بتعاقب والتي اضطهدت هذه المجموعة دينياً واقتصادياً واجتماعياً، واقامت حملات ابادة جماعية ومذابح دموية بحقها لاكثر من مرة.

ان الباحث التاريخي عندما يتطرق الى الآثوريين يواجه مجموعة من النظريات والاراء المختلفة المتضاربة بخصوص اصلهم وتسميتهم وموطنهم، ولاننا بصدد مسألة معينة لذلك لاندخل في تفاصيل تلكم الاراء، ومناقشتها، بل نكتفي بالاشارة الى الاهم منها: يعتقد البعض ان الآثوريين من الكورد ولكنهم بعد تنصرهم ظهرت الاختلافات بينهم وبين اخوانهم بمرور الزمن، اما البعض الاخر فيعتقد بانهم احفاد الكلدانيين الذين تركوا مناطقهم الاصلية في (ميسوبوتاميا) بلاد ما بين النهرين تحت ضغط الشعوب الاخرى، وتوجهوا شمالاً ليستقروا في المناطق الجبلية لكوردستان، وهناك من يرى بانهم من القبائل المسيحية التي تركت المناطق السهلية في الموصل بعد الغزو المغولي، والتجاوا الى المناطق الجبلية في هكاري واورمية خوفاً من اية مذبحةجماعية ترتكب بحقهم* فيما يرى آخرون بانهم من احفاد الاسباط

العشرة اليهود الذين سباهم الاشوريون القدماء وشردوهم في جبال كوردستان النائية*، والتي كانت حينذاك تحت الاحتلال الاشوري، وبهدف استبعاد فكرة الرجوع لديهم الى موطنهم فلسطين، وبعدها فانهم تنصروا وتركوا دينهم، لكنهم حافظوا على لغتهم التي كانوا يتحدثون بها في فلسطين كما حافظوا على نمط حياتهم والعيش على شكل قبائل منفصلة باسمائها الخاصة كما كانوا عليها سابقاً(١).

الا ان الرأي الاكثر شيوعاً والذي يردده اكثرية الكتاب ويؤيده الآثوريون انفسهم ويحاولون جاهداً اثباته هو الذي يقول: بانهم ينتسبون الى المجموعة السامية التي تركت موطنها في شبه الجزيرة العربية واتجهت صوب الشمال في الالف الرابع قبل الميلاد وهم بقايا الاشوريين* الذين اسسوا لهم اعظم امبراطورية عرفها الشرق القديم في شمال ما بين النهرين في حدود القرن العاشر قبل الميلاد، والتي سقطت فيما بعد على ايدي القوات الميدية- البابلية المتحالفة عام ٦١٢ق.م، ودمرت عاصمتها مدينة نينوى، والتي نتجت عنها لجوء البقية من اهالي آشور الى الجبال المنيعة هرباً من انتقام الجيوش المتحالفة واستقروا في ملاجئهم(٢)، وتستند هذه الرواية على نص من الكتاب المقدس، وهو «نعست رعاتك يا ملك آشور، اضطجعت عظماؤك، تشتت شعبك على الجبال ولا من يجمع»(٣).

ان هذا الرأي يجب ان لايعتمد عليه بشكل قاطع في تحديد اصل الآثوريين، خصوصاً اذا علمنا بان الامبراصورية الاشورية القديمة كانت تحوي خليطاً من الشعوب والاقوام، كما ان الابحاث عن سقوط آشور تمدنا بمعلومات تذكر بان الجيش الميدي اثناء اسقاطه لاشور قام بالقضاء على النبلاء فقط، ولم يعاقب ويلاحق العامة الذين استقبلوا الميديين كمحررين لهم من ربقة مضطهديهم النبلاء، الذين استغلوا التركيبة الاقتصادية والاجتماعية للميديين الخالية من العلاقات العبودية على شكل ما كانت سائدة في بلاد آشور لاسترجاع حريتهم وبقوا في مناطقهم يمارسون جميع نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية منها عبادة الههم القومي آشور(٤).

واذا افترضنا ان الرأي الشائع اعلاه صحيح وله اساس تاريخي، فيمكننا القول بان سقوط نينوى عاصمة الدولة الاشورية تعد نقطة مهمة وانعطافاً خطيراً في تاريخ الاثوريين، لانهم فقدوا بذلك اهم عنصر من عناصرهم القومية، وهي (الارض) حيث تحولوا من شعب ذي ارض الى مجموعة اثنية مشتتة مستقرة بين جبال كوردستان المنيعة، مكونة بذلك اقلية ديموغرافية محافظة على عاداتها الاجتماعية ليست لها اي

ثقل سكاني، وبالتالي اي دور في سير اتجاه احداث المنطقة او حتى المشاركة فيها بشكل فعال، وهكذا اصبح تاريخ الاثوريين خالياً من الجغرافيا.

ومن اكثر الحقائق التي تثير التساؤل والتعجب معاً هي اننا لانجد اي محاولة او حتى ميل لدى الاثوريين من خلال تاريخهم بعد سقوط نينوى للرجوع الى موطنهم، ولا اي بادرة باتجاه اتخاذهم لوطن بديل عن وطنهم المفقود، حيث لم يكن للارض عند الاثوريين اي معنى عدا كونه موقعاً ملائماً جديراً بالاستقرار.

اما الحدث الاخر في تاريخ الاثوريين، والذي لايقل اهمية وتاثيراً عما ذكرناه سابقاً، وهو تنصر الاثوريين وتركهم لدياناتهم الوثنية القديمة في القرن الاول الميلادي، وكذلك اتخاذهم المذهب المسيحي- النسطوري العقلاني في القرن الخامس الميلادي* هذه الحادثة والتي تعد انعطافاً تاريخياً كونها ادت الى اختلاط القومية الاثورية بالمسيحية النسطورية، اي انها اعطت صنفين متميزتين للاثورية المسيحية الاولى كونها من مجموعة سامية وسط بيئة آرية، والثانية كونها ذات ديانة مسيحية في بيئة غير مسيحية (زردشتية آنذاك واسلامية فيما بعد) هذا من جانب، ومن جانب آخر، فان تنصر الاثوريين قد اتى بظاهرة جديدة اخرى في حياتهم، وهي اندماج الزعامة الدنيوية مع الزعامة الدينية في حكم ثيوقراطي وبقائه بشكل وراثي في عائلة آثورية واحدة، ويقال لهذا الزعيم، والذي يكون دائماً المرجع الاعلى في اتخاذ اي قرار مصيري بالنسبة للاثوريين، اسم (مارشمعون- Marchimon)، فكان مقره الرئيسي في البداية في منطقة القوش شمال الموصل، وبعد ذلك نقل الى عينكاوه قرب اربيل، واخيراً نقل الى قرية قوجانس قرب جوله ميرگ في هكاري في عهد مارشمعون الثالث عشر (١٦٦٠-١٧٠٠م)[٥].

كان اثوريو كوردستان في العصر الحديث يعيشون في حدود الامارات الكردية ذات (الحكم الذاتي مثل هكاري، بوتان، بادينان، سوران) التابعة للولايات العثمانية (وان، ديار بكر، الموصل)، كما كان هنالك مجموعة منهم يعيشون في شرق كوردستان الواقعة تحت السلطة الايرانية، وبالاخص في مدينة اورمية وضواحيها والتي كانت تابعة ادارياً لولاية آذربيجان الايرانية، اما بخصوص تعدادهم فليس هناك، اية احصاءات دقيقة مستقلة يمكن الاعتماد عليها بشكل مؤكد وهناك اختلافات كبيرة في الكتب والمصادر التاريخية بهذا الشأن، لان تعداد الاثوريين قد جرى اعتباطاً من قبل الرحالة او مسؤولي الدول الاوروبية في المنطقة والذين كان لهم

اغراض سياسية صرفة في تقديراتهم تلك، بدليل ان التقديرات تراوحت بين مليون نسمة ومئة الف نسمة اذ يقدر كسروي عدد الاثوريين قبل الحرب العالمية الاولى بـ (٢٠٠) الف نسمة، (٥٠) الفاً منهم كانوا يعيشون في ايران والاخرون في الاراضي العثمانية[٦]، اما علي دهقان فيقدرهم بـ(٥٠) الفاً يعيشون في اذربيجان الغربية وحول بحيرة وان [٧] اما باسيل نيكتين فيقدر عدد الاثوريين الساكنين في ولاية وان وسنجق گياور بـ (٣٠) الفاً[٨]. واخيراً فان اللورد كرزن البريطاني يقدر عددهم في عام ١٨٩١بـ(١٠٠-٢٠٠) الف نسمة، اربعون الفاً منهم في ايران موزعين على اورمية، سلماس، سلدوز، باراندوز، تەرگەوەرومەگەوەر)[٩].

اما بخصوص تركيبتهم الاجتماعية والاقتصادية فانها كانت تمتاز بعلاقات اقطاعية ممزوجة ببقايا من النظام العشائري، وان التجمع الاسروي والقروي كان اساس الوحدة الاجتماعية الاقتصادية بشكل تضم مجموعة من العشائر يترأس كل منها امير او مليك- Malik- وهو في الواقع اقطاعي كبير يأخذ منصبه بالوراثة ويقوم بحفظ النظام في قبيلته ورد الاعتداءات الخارجية عليها وهو مسؤول كذلك امام المارشمعون الذي بدوره يعين قساً على كل قبيلة لادارة امورها الدينية، ومن اهم القبائل القوية للاثوريين (جيلو، تياري، بازي، تخومي، آشوتي) وغيرها من القبائل الاخرى[١٠].

ومما هو جدير بالذكر ان الاثوريين كانوا يعيشون في عزلة تامة عن وسطهم محافظين على لغتهم التي تعرف بالسريانية والتي تنتسب الى الارامية، وهي من عائلة اللغات السامية، كما حافظوا على اعرافهم وعاداتهم الدينية والاجتماعية الخاصة بهم، وكان اقتصادهم يعتمد على تربية المواشي بدرجة رئيسية اي الرعي، مع زراعة هامشية متخلفة[١١]، اضافة الى ذلك فانهم كانوا يمارسون النشاطات الاقتصادية غير المألوفة او المحرمة عند جيرانهم كاعداد الخمور بشكل انهم كانوا يعدون من افضل صانعي الخمور في الشرق الاوسط او تعدين الخامات المعدنية، اضافة الى اشتغال عدد كبير منهم بالتجارة وخاصة بعد ان ارتبطت كوردستان بسوق الرأسمالية العالمية[١٢].

كان الفلاحون الاثوريون يعيشون في فقر مدقع ووضع مزرٍ جداً نتيجة لما فرض عليهم من الالتزامات الاقطاعية من قبل امرائهم وزعمائهم الذين كانوا يمتلكون اراضٍ ومراعٍ جبلية واسعة، وعدد كبير من المواشي، وكانوا يستغلون الفقراء من الفلاحين من

اجل حماية القطيع، وزراعة الارض ويفرضون عليهم ضرائب سنوية عينية ونقدية، وكانوا يحصلون على المبالغ الكبيرة من بيع منتوجاتهم الزراعية والحيوانية في الاسواق، وبذلك كانوا يشكلون ارستقراطية قبلية لها مصلحة كبيرة مع فئة التجار، هذا من جهة، ومن جهة اخرى كان الفلاحون المعدمون ملزمين بتقديم هبات وعطايا كثيرة وثمينة للبطريك مارشمعون ترحيباً به عند زيارته للقرى، وكذلك تأمين دخله الذي يتألف من الضرائب الفردية (قروش عن كل رجل ونصف قرش عن كل امرأة) اضافة الى تقديم ضريبة سنوية لأعاشة الكهنة والرؤساء الروحيين الذين كانوا بدورهم ايضاً يحصلون على ضريبة المخالفات الدينية[١٣]. فان الفلاحين الاثوريين كانوا يئنون تحت الظلم والاضطهاد العنصري والديني وكذلك النهب الاقتصادي الذي كان يمارسه كل من مسؤولي الحكومتين المتخلفتين الفاسدتين الايرانية والعثمانية بحقهم حينذاك.

من المعروف ان الديانة الاسلامية كانت الايدولوجية الرسمية لكلتا الدولتين القاسمتين لكوردستان في العصر الحديث، اذ ان الاتراك السنة قد احتكروا السلطة لانفسهم في الدولة العثمانية بينما تمسك الاذريون الشيعة بزمام الامور في ايران. ولم يكن للكورد اي كيان سياسي مستقل خاص بهم، عدا وجود مجموعة امارات (اتونومية) تابعة، والتي ما لبثءان قضت عليها هاتان الدولتان كل على حدى، بشكل ما ان ودعت كوردستان النصف الاول من القرن التاسع عشر حتى ازيلت جميع اماراتها واسقطت [١٤] وربطت جميع اقاليمها مباشرة بمركز تلك الدولتين لتحكم بواسطة مسؤولين اجانب عثمانيين او ايرانيين، وبذلك لم يكن للكورد ايضاً دور او اشتراك فعلي بشأن القرارات الصادرة من كلتا الدولتين المضطهدتين للكورد قومياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، اي انهم كانوا مشاركين فيما كان يئن تحته اخوانهم الاثوريون من بؤس وشقاء نتيجة للسياسات التخريبية الجائرة التي كانت تتبع من قبل العثمانيين والايرانيين بحق المنطقة. ولكن يجب الاشارة الى نقطة هامة وهي ان اوضاع الاثوريين بشكل عام كانت اسوأ من الكورد لانهم كانوا مسيحيين في دولة اسلامية ومحسوبين على حساب اهل الذمة، والذين حددت واجباتهم وحقوقهم حسب الشريعة الاسلامية والتي كانت الدولتان تستقيان منها الاصول القانونية لكيفية ادارة امور الدولة ويطبقونها بما يلائم مصالحهم واهدافهم الخاصة، لذلك نستطيع ان نقول بان الاثوريين كانوا يشكلون مواطنين من الدرجة الثانية قياساً باخوانهم الكورد ودرجة ثالثة قياساً بالاتراك العثمانيين والاذريين الايرانيين، والنقطة الاخرى الاكثر اهمية، وهي انه وعلى الرغم من ان الشعب الكوردي لايتصف بتجانس كامل من الناحية الدينية والمذهبية- الاكثرية السنية الاسلامية والاقلية الشيعية، ومع وجود

مذاهب وتيارات اخرى كاليزيدية والكاكائية والعلي اللاهية والزردشتية، بالاضافة الي وجود ديانات اخرى في كوردستان كالمسيحية واليهودية. الا اننا لانجد في التاريخ الكوردي منذ القدم، ولحد الربع الاول من القرن التاسع عشر، اية حرب او نزاع او اصطدام بين الكورد والاثوريين في المنطقة، فقد كانت علاقات الاثوريين مع الكورد، وعلى مر الايام، علاقات مودة واخاء وتضامن، بل وصلت في بعض الاحيان الى حد التنسيق والتعاون ضد العدو المشترك لهما[١٥] الا ان تلك العلاقات تغيرت بعد ذلك، اذ منذ بداية القرن التاسع عشر وبعدما ظهر تنافس استعماري شديد على منطقة الشرق بضمنها كلتا الدولتين الايرانية والعثمانية، ادركت الدول الاستعمارية الكبرى (روسيا- بريطانيا- فرنسا- المانيا وامريكا فيما بعد) بان لها مصالح سياسية واستراتيجية وعسكرية واقتصادية كبيرة في المنطقة[١٦]، وانه لضمان تدخلها فيها ومد نفوذها وبسط حمايتها عليها، بدأت تعمل منذ البداية على نزع الثقة وبذر النفاق والشك المتبادل بين العناصر القومية والمذهبية، وتشجيع الضغائن والنعرات الطائفية وخلق الفتن والفوضى بين الاقوام والطوائف، وقدمت الفئة الحاكمة المتسلطة في ايران والدولة العثمانية تسهيلات كبيرة جداً لتحقيق تلك السياسة الاستعمارية، بل كانت كل من هاتين الدولتين تعتبر هذه السياسة من الوسائل التقليدية الناجحة لفرض سيطرتها وكبح جماح شعوبها الرافضة لها ولتاخير تفككها بعد الانحلال والضعف والفساد الذي سادت جميع مؤسساتها السياسية والادارية والعسكرية في بداية القرن التاسع عشر، ولا ننسى هنا ذكر الدور السلبي الذي لعبته البعثات التبشيرية المرسلة من قبل الدول الاوربية الي المنطقة، في تهيأة الارضية الخصبة للنزاعات القومية والدينية، ان تلك البعثات التي كانت تمولها بسخاء الاوساط السياسية والمالية للدول الراسمالية التي كانت تحجب نفاقاً سياسة النهب بدعاوي نشر مباديء المسيحية[١٧].

هكذا بدأ المبشرون الغربيون الذين استقروا في مدن ومناطق مختلفة في كوردستان وخاصة في الاماكن التي تتصف بالتعدد من الناحية القومية والدينية مثل اورمية، هكاري، وان وارضروم، بفتح مقرات لهم، فبدأوا يحرضون المسيحين وخاصة الاثوريين بمختلف الاساليب ويؤلبونهم ضد المسلمين من الاذريين والكورد وغيرهم، ونظراً لتملك هؤلاء مصادر مالية هائلة، فانهم نجحوا الى حد كبير في شراء ذمم عدد كبير منهم ليس من العامة فحسب، وانما من زعمائهم الامراء والبطاركة ايضاً[١٨]. وقد نصت تعليمات المكتب المختص بشؤون الارساليات الاجنبية على «انه في البداية يجب تقديم الاموال للناس الأبعد منا حتى يصبحوا قريبي الوقوع في احضان الكنيسة

وبعدها يجب تقليل المبلغ بالتدريج، وعندما يعتنقون ايماننا حينئذ يجب قطع المساعدة عنهم»[١٩]، كما جاء في احد الرسائل التي ارسلها احد المبشرين الامريكيين الى الزعيم الاثوري مارشمعون عام ١٨٣٦ «ان السبب الوحيد للحالة المأساوية التي تعيشه انت وشعبك ليس الا الاسلام وظلم المسلمين..»[٢٠].

ان ذلك الدور العدائي والاستفزازي للبعثات التبشيرية والمبشرين الغربيين في المنطقة ترتب عليه مضاعفات في غاية الخطورة، وهي ملاحظة ظهور توترات واحياناً اشتباكات دموية بين المسيحيين والمسلمين في المنطقة[٢١] اذ اثمرت اولى خطوات وبرامج الدول الاستعمارية لاستغلال العناصر المسيحية وفي مقدمتهم الاثوريين في تحقيق منافعها: واطماعها في المنطقة، واصبح الاثوريون ضحية تلك الاطماع لا لشيء الا لانتمائهم المسيحي. كما يجب القول بان تلك الارساليات التبشيرية لم توفق فقط في اشعال نار الفتنة بين المسيحين وغيرهم فحسب، وانما بين المسيحين انفسهم، فنرى تلك التجزئة التي تعرض لها الاثوريون وذلك بتوزعهم الى مذاهب وطوائف متعددة مختلفة فيما بينهم، بشكل اصبحت عدد كنائسهم وطوائفهم مساوياً لعدد كنائس وطوائف الدول الاستعمارية في حينه- البروتستانت الامريكي، الانكليكان البريطاني، الارثودكس الروسي والكاثوليك الفرنسي- مستغلة التخلف المتعدد الجوانب والتعصب الذي كان يعاني منه ابناء المنطقة بمختلف انتماءاتهم القومية والمذهبية[٢٢].

ومن الواضح ان روسيا القيصرية حققت من بين جميع الدول الاوربية الاخرى نجاحاً كبيراً في استمالة العناصر المسيحية في ايران والدولة العثمانية وفي مقدمتهم الاثوريون الذين عقدت عليهم روسيا آمالاً كبيرة في تأمين مصالحها الستراتيجية والعسكرية في المنطقة، ومن جانب آخر فان الاثوريين بدورهم ايضاً عقدوا آمالهم على روسيا وكانوا يعتبرونها المحرر الحقيقي لهم[٢٣] اعتقاداً منهم بان الحصول على مساندتها هو الحصول على القوة التي كانوا يفتقدون اليها كلياً مقارنة بجيرانهم المسلمين بشكل عام والحكومات المضطهدة لهم بشكل خاص. ولاغرابة ان يرسل الاثوريون وفداً عام ١٨٩٨ من ايران الى بطرسبورك في روسيا ليعقدوا اتفاقية، اصبحوا بموجبها عضواً تابعاً للكنيسة الارثودكسية[٢٤] وقد تطورت العلاقات بين الجانبين الى اكثر من ذلك، ففي تموز عام ١٩٠٦ اوعزت قيادة اركان الدائرة العسكرية في القفقاس لنائب القنصل الروسي في مدينة وان (ر. تيرمن) بزيارة رؤساء الاثوريين في منطقة هكاري، حيث التقى تيرمن بالبطريك الاثوري (بنيامين



مارشمعون) لكي يستوضح منه حول امكانية انتظار روسيا القيصرية المساعدة من الاثوريين فيما لو نشبت الحرب بينها وبين الدولة العثمانية، فاجاب البطريك للمثل الروسي بانه يستطيع تقديم جيش مؤلف من اربعين الف مقاتل فضلاً عن تهيأة عشرين الف مقاتل يرسلون الى حيث هو ضروري من الاراضي الروسية(٢٥) وهكذا فان هذا الاستعداد الحماسي للاثوريين ليس الا لاعتقادهم بان تحقيق الهدف القومي المتمثل باقامة دولة آثورية مسيحية مستقلة لا يتحقق الا بمناصرة وكسب دولة مسيحية اوربية كبرى.

ومما لاشك فيه هو ان آثوريي كوردستان لم يحاولوا خلال تاريخهم الطويل في المنطقة اية محاولة تهدف الى الانفصال عن الدولتين الحاكمتين للمنطقة واقامة كيان آثوري مستقل، بل كانت جهودهم تصب في مجال الحصول على المساواة مع مواطني كلتا الدولتين ورفع القهر الديني عنهم واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية ان صح التعبير، وان تلك الجهود لم يكتب لها النجاح.لكونهم اقلية الاقليات في كلتا الدولتين من الناحية القومية والدينية معاً، بالاضافة الى الاختلاف الواضح الموجود عند الطوائف والقبائل الاثورية نفسها من ناحية اللغة والمذهب وحتى العادات والتقاليد، حيث ان آثوريي هكاري وبوتان وبادينان الذين كانوا منقسمين في تشكيلات عشائرية كـ(جيلو، بازي، تياري وآشوتي) يختلفون كثيراً عن الكلدانيين في شقلاوة وعينكاوه في اربيل، وهرموته في كويسنجق، والمناطق الاخرى في الموصل، وكذلك ان هؤلاء اختلفوا ايضاً عن آثوريي منطقة اورمية(٢٦). ومما هو معروف ان هذه الاختلافات قد زادت بعد مجيء الارساليات التبشيرية الاجنبية مثلما زادت من توتر العلاقات بين هؤلاء من جهة وجيرانهم المسلمين والسلطات العثمانية والايرانية من جهة اخرى(٢٧).

ومن الامور الاخرى والاكثر اهمية هي ان الاثوريين لم يكونوا في غفلة عن الاحداث المهمة التي كانت تحدث في ايران وتركيا، وكانوا على علم بهزائم هاتين الدولتين على ايدي الدول الاوربية وخاصة روسيا القيصرية، كما كانوا مطلعين على الضعف والوهن والانحلال الذي دب في كلتا الدولتين(٢٨)، ومتأثرين بلا شك بجميع الثورات والانتفاضات القومية للشعوب غير التركية التي كانت تحدث من بعيد او قريب عنهم ضد الدولة العثمانية وما يماثلها في ايران، هذا من جانب، ومن جانب آخر فان ما قامت به البعثات التبشيرية المستقرة في مناطق تواجد الاثوريين من النشاط العدائي وما بذله المبشرون في نشر الكتب والمجلات وبناء المستشفيات

والمدارس والمطابع كان له الدور الكبير والمشجع لتحريك الشعور والحس القومي والديني الاثوري، بالاضافة الى التاثير الكبير لانعكاس سياسة الاتحاديين الاتراك الذين انفردوا بالحكم بعد انقلابهم العسكري ١٩٠٨ والتي تتمثل بتتريك الشعوب غير التركية في الدولة العثمانية والقضاء على العناصر المسيحية فيها، كل ذلك قد ادى الى ان يكون للاثوريين تطلعات واهداف سياسية تتمثل في انشاء دولة آثورية مستقلة، وقد جسدت تلك التطلعات وعبر عنها البند الاول من البيان الذي اصدره الاثوريون في ٢٨ حزيران ١٩١٧ تحت اسم (وحدة واتحاد آشور الحرة) والذي فيه اشارة واضحة الى هدف الاثوريين اعلاه، حيث جاء فيه:

« يعتبر هدف وتطلعات اتحاد آشور الحرة هو تطبيق الادارة القومية في الوقت القريب على المناطق التالية «اورمية، موصل، طور عابدين، نصيبين، الجزيرة، جولا ميرگ) ضمن اطار روسيا العظمى الحرة بشرط ان يكون من الناحية العسكرية والتجارية والصناعية تابعة لروسيا العظمى »[٢٩].

وكذلك نجد حقيقة ما نقوله اعلاه في المذكرة التي قدمت من قبل الاثوريين وقعها كل من (سعيد. أ. صادق ورستم نجيب) الى مؤتمر السلام في باريس في تموز ١٩١٩ بعنوان المسألة الاثورية الكلدانية امام مؤتمر السلام والتي تطالب باسم الاثوريين باقامة دولة آثورية مستقلة على اراضي واسعة في عدد من الولايات العثمانية الشرقية والجنوبية المأهولة بالاكراد والاتراك والعرب، اضافة الى مطالبتها بولايات حلب ودير الزور والموصل وكذلك بمنافذ على البحر المتوسط والخليج (الفارسي)[٣٠] الى غير ذلك من المطالب الغريبة والمحيرة..

ان القيادة الثيوقراطية المرتبكة للاثوريين والفاقدة لبرنامج سياسي منظم غير المعتمدة على مساندة القوى الوطنية والتقدمية للشعوب الاخرى في المنطقة قد سلكت مسلكاً خاطئاً، ودخلت في مغامرة لم تحمد عاقبتها، وهي اعتمادها الاساسي المادي والمعنوي على قوة خارجية مخادعة ومراوغة لايهمها سوى تحقيق مصالحها الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية في المنطقة. ذلك الاعتماد الذي جعل من الاثوريين عند جيرانهم المسلمين والدولتين الاسلاميتين- ايران والدولة العثمانية- اقلية غير مرغوبة فيها[٣١]، بل معادية يجب القضاء عليها في اقرب فرصة، كما ان هدفهم القومي قد واجهته مواقف عدائية مختلفة وعلى عدة اصعدة منها:

أ- فعلى الصعيد المحلي، ان مسألة اقامة دولة آثورية مستقلة على الاراضي التي

طالب بها الاثوريون كانت مسألة تتناقض وتصطدم مع الاهداف والمطالب القومية للشعوب التركية والعربية والاذرية وفيما بعدالكوردية، حيث ان هذه الشعوب كانت نفسها في صراع حاد ومنافسة شديدة حول اثبات كل منها احقيته بملكية هذه الاراضي كل لصالحه، وفي حالة كهذه فانه من المستحيل ان يحصل الاثوريون على اية مساندة من شعوب المنطقة لمطاليبهم واهدافهم التي كانت ضرباً من الخيال اللامنطقي وغير الواقعي.

ب- وعلى الصعيد الاقليمي نجد بان كلتا الدولتين الايرانية والعثمانية كانتا تقفان بشكل حازم ضد اي نوع من هذه المطالب التي تهدف الى سلخ اي جزء من اراضيهما بجميع الوسائل والاساليب المتاحة امامهم.

ج- اما على الصعيد الدولي العالمي فلم تكن هناك اية مصلحة لاية قوة او دولة اوربية كبيرة في العمل بشكل جدي او حتى مساندة فعلية لتلك المطالب، وخصوصاً اذا علمنا بان الدول الكبرى كانت نفسها في صراع استعماري شديد على المنطقة، حيث قررت تلك الدول مصير كلتا الدولتين الايرانية والعثمانية في سلسلة معاهدات واتفاقيات استعمارية لم تكن فيها اي مجال لتطبيق المطالب الاثورية، كاتفاقية ١٩٠٧ بين روسيا وبريطانيا حول تقسيم ايران، واتفاقية لندن واستنبول وسايكس بيكو حول تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية×، ولكن هناك حقيقة جديرة بالذكر وهي ان تلكم الدول كانت تؤيد الآثوريين آنياً وسطحياً ومجاملة لاغوائهم، لاغراضهم السياسية والعسكرية الصرفة ولجعلهم آلة طيعة وقنبلة موقوته ضد كلتا الدولتين في اي وقت يستلزم ذلك. وهذه الحقيقة تظهر بوضوح عند النظر الى آثوريي كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى وجعلهم ضحية لسياسات روسيا وبريطانيا الاستعمارية في المنطقة، بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى واعلان روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية رسمياً في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٤ استقبل الآثوريون نبأ دخول العثمانيين الحرب بجانب المانيا ضد الحلفاء بتفاؤل وتشاؤم معاً- بتفاؤل نظراً لما كانوا يبغونه من الحصول على حقوقهم القومية والدينية بعد انهزام الدولة العثمانية وانهيارها على ايدي الحلفاء، وبتشاؤم، لخوفهم الكبير من احتمال مطاردة الاتراك وجيرانهم المسلمين للعناصر المسيحية داخل الدولة العثمانية وما يمكن ان يترتب على ذلك من اقامة حملات ابادة جماعية بحقهم.

طالب القيصر الروسي من مسيحي الدولة العثمانية- وخاصة الارمن والآثوريين حمل السلاح بجانب الجيش الروسي ومساعدته عسكرياً والقيام بثورات وانتفاضات ضد الحكومة العثمانية، وقطع الطريق على قواتها وضربها، ومقابل ذلك وعدهم

بالتحرر والاستقلال بعد انتهاء الحرب، كما ان المسؤولين الاتراك وحلفائهم الالمان قد اتبعوا ما لديهم من السبل لاجل منع الآثوريين من الالتحاق بالمعسكر الروسي وتقديم اية مساعدة لقواتها، ولذلك تم استدعاء البطريك مارشمعون من قبل الحكومة التركية وبواسطة والي (وان) حيث طلب منه ان لايقف الى جانب روسيا بل يجب عليه معاداتها، وبذلك وعد الوالي مارشمعون بسلامة الآثوريين وفتح المدارس القومية لهم، كما تم في هذا اللقاء تقديم الهدايا له[٣٢].

عاد مارشمعون بعد هذا اللقاء الى منطقة ديزان في ١٢آذار ١٩١٥ وعقد مجلساً كبيراً ضم ممثلي جميع العشائر الآثورية للتباحث في المسألة، حيث اقترح قسم منهم وكانوا بقيادة عم البطريرك- نمرود- ضرورة اتخاذ موقف محايد من الحرب لكي لايعطي للقوات العثمانية اية مبررات لطرد الآثوريين من قراهم،كما وضح هؤلاء بان الوقوف ضد العثمانيين سيؤدي الى وقوع كارثة قومية بالنسبة للاثوريين، لكن الجانب العسكري المؤيد لتقديم كافة المساعدات لروسيا القيصرية والذي كان يرى في الحرب فرصة لا تقدر بثمن يجب استغلالها لتحقيق الاهداف القومية الآثورية[٣٣] كان اكبر ثقلاً وخصوصاً ان المرجع الاعلى -مارشمعون- كان مؤيداً متحمساً له ومن اكبر دعاته والذي تم حسم المسألة على يده الى الاعلان من ذلك المكان عن انتفاضة الآثوريين ضد الدولة العثمانية والوقوف باخلاص الى جانب روسيا القيصرية «الام الحنونة لاطفالها» على حد قول احد الزعماء العسكريين الآثوريين[٣٤]. وفي ايار ١٩١٥ أمر مارشمعون بتعبئة القوات الآثورية بايعاز من روسيا القيصرية، وكان هدف روسيا من ذلك هو استغلال قوة الآثوريين كدرع بشري لاعاقة تقدم الجيش العثماني المهاجم نحو منطقة آذربيجان الايرانية حتى تتمكن من سحب قواتها من هذه المنطقة بسلام لتفادي خسائر كبيرة في صفوفها امام القوات العثمانية المندفعة، وتطبيقاً للخطة العسكرية الروسية وتكتيكها الحربي في بداية الحرب[٣٥].

لم يكن هذا القرار المتسرع الذي اتخذه مارشمعون قراراً حكيماً وقد ظهرت مضاعفاتها السلبية بعد ايام معدودات من اتخاذه لانه اعطى مبرراً كافياً للاتحاديين الاتراك وتحت شعار الجهاد ضد الغزاة الكفار والخونة للقيام بهجوم عسكري من عدة محاور على مناطق الآثوريين بهدف القضاء عليهم نهائياً، ونظراً لان روسيا القيصرية لم تف بوعودها المسبقة الخاصة بشأن ارسال التعزيزات والمؤن والاسلحة لحلفائها الآثوريين، لذلك ترك الآثوريون تحت قسوة القوات العثمانية ورحمة الشعوب المسلمة في المنطقة (الترك والاذر والكورد) والمتأثرة الى حد كبير بدعوتها الى الجهاد

المقدس[٣٦]. والانكى من ذلك هو عندما اجتمع مارشمعون مع امراء الآثوريين ودرسوا الحالة المزرية غير المتوقعة والمفاجئة، قرروا اخراج جميع السكان الآثوريين من ولاية هكاري، والانسحاب بهم ونقلهم الى المنطقة الحدودية المنيعة القريبة من القوات الروسية المتواجدة في شمال غرب ايران، عمل الروس جاهدين على منع الآثوريين من عبور الحدود الى ايران وحاولت القيادة العسكرية الروسية ابقاء الآثوريين محصورين على الشريط الحدودي ليجعلهم درعاً واقياً بين قواتها البادئة بالانسحاب وبين الجيش العثماني المهاجم[٣٧] ليأمنوا ضمان عملية الانسحاب بسلام من آذربيجان الايرانية الى اخر نقطة حدودية لها في مرند.

في الحقيقة لم تكن القيادة العسكرية الآثورية مطلعة على الخطة الروسية العسكرية المتمثلة بانسحاب قواتها من شمال غرب ايران، ولم تكن ايضاً مستعدة ومهيأة لمثل هذه الحالة المفاجئة لها، كما لم يكن باستطاعتها الدفاع عن الجموع الآثورية الهاربة من مناطقها والمطاردة من قبل القوات العثمانية الامر الذي جعلها ان تسحب اخر ورقة لها، اذ لم يكن لديها خيار الا الانسحاب والالتحاق بالجيش الروسي المنسحب تاركة كل ما لديها في المنطقة، ذلك الخيار الذي اوقع كارثة مأساوية بالآثوريين راح ضحيتها من النساء والشيوخ والاطفال الابرياء مئات بل الالوف، تلك المأساة التي كان للحكومة القيصرية الروسية المخادعة والقيادة العسكرية الآثورية غير المحنكة دور مساوٍ فيها للدور الذي لعبه او مثله الجيش العثماني والمتأثرين بدعوة الجهاد من الزعماء المحليين لشعوب المنطقة، كما يجب الاشارة الى ما تركته الكارثة من آثار سلبية على معنويات الآثوريين وتثبيط هممهم بشكل ادى بالزعيم الآثوري مارشمعون ان يبحث عن مخرج لشعبه وذلك بالدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية. يقول (ف.ب.نيكيتن) معاون القنصل الروسي في ايران بهذا الصدد: «ان مارشمعون غير راض اذ اننا حرضناه على الدخول في حرب مع تركية وامتنعنا في نفس الوقت عن تقديم المساعدة له، فبذلك وضعنا شعبه في حالة دون مخرج، لذلك قرر ارسال مبعوثه الى طهران ليطلب من السفير الالماني السلم مع تركيا، ان مثل هذا الاجراء سيعقد امورنا في المنطقة كثيراً اذ اننا بدلاً من رجل امين لنا سنكسب بوضوح زعيماً لايميل لنا ويقود جيشاً مؤلفاً من اربعين الفاً من المقاتلين الشجعان»[٢٨].

ومن جهة اخرى فان لجوء الآثوريون الى الاراضي الايرانية زادت من مخاوف شعوب المنطقة باسرها مثلما زادت من مخاوف السلطات الايرانية الفاقدة للسيادة

على اراضيها، فان الاذريين والكورد في المنطقة ابتلو كثيراً بتلك الاحداث، حيث ان موطنهم اصبح ساحة اقتتال عنيف بين الجيوش والقوات المتحاربة، ويقول ويگرام في تعبيره عن شعور اهالي شمال غرب ايران تجاه الاحداث:

«واكمالاً للمصيبة ابتلوا بمجيء هذا القطيع من الجبليين الانذال(اي الآثوريون- الباحث) الذين لايحتقرونهم لانهم مسيحيون بل لانهم همج، فهم يخافون من قوتهم البدنية خوفهم من الموت، انهم رجال فقدوا كل ما لديهم في الحياة، اناس تعودوا من نعومة اظافرهم على اعتبار السلب والنهب وسفك الدماء من اعمالهم اليومية المعتادة»[٣٩] وكذلك يؤكد (علي دهقان) على هذه الحالة ويعدها كإحد اهم الاسباب التي ساعدت على توتر العلاقات وفتورها الشديد بين اللاجئين الذين يقدرهم بـ (٣٠-٤٠) الف الآثوري من جانب وبين اهالي المنطقة من جانب آخر[٤٠].

اما بخصوص اجراءات القيادة العسكرية الروسية ومواجهتها للموقف فقد قام قائد جبهة القفقاس الامير نيكولاي نيكولافيج بدعوة مارشمعون الى تفليس في كانون الثاني ١٩١٥ لاجراء مباحثات دبلوماسية وعسكرية معه، وفعلاً التقى الاثنان ورحب الامير بالمارشمعون ترحيباً حاراً وقلده ارفع الاوسمة الروسية، وقد تم اثناء المباحثات التطرق الي موافقة روسيا لتأسيس دولة آثورية مستقلة ذات سيادة، كما تم التوصل الى تأسيس جيش آثوري قوي ضمن القوات الروسية النظامية ومنح مارشمعون راتب شهري مقداره (٥٠٠) روبل[٤١].

وهكذا بدأ القادة العسكريون الروس بتنظيم الآثوريين، حيث بعدما رجحت كفة الحرب لصالح الروس في اذربيجان في مايس ١٩١٥ ومني الهجوم التركي بقيادة انور باشا بهزيمة تامة، ورجعت القوات الروسية الى منطقة شمال غرب ايران، ازداد تعداد القوات الآثورية، على امتداد عام ١٩١٦ وقامت بعمليات حربية انتقامية ضد السكان المحليين المسلمين العزل وبامر من الجنرال جرنزوبوف الروسي، اذ بدلاً من ان ياخذوا ثأرهم من القوات التركية العثمانية بدأوا باقامة مذابح جماعية بحق الابرياء ونشر الارهاب في صفوف الاهالي من الاذريين والكورد في المنطقة[٤٢].

وفي تلك الفترة حدثت ثورة شباط ١٩١٧ في روسيا، تلك الثورة الي كانت لها تأثير واضح على اوضاع روسيا الداخلية بشكل عام وعلى قطعاتها العسكرية وخططها ومجريات الاحداث في اذربيجان الايرانية بشكل خاص، حيث بدأت القوات

الروسية تنسحب من ايران تدريجياً وبدأ الجنود الروس يبيعون كل ما لديهم بثمن بخس للرجوع الى الوطن، اما القيادة الروسية فتركت لدى خروجها من ايران كمية كبيرة من العتاد والتجهيزات العسكرية والبنادق والرشاشات للاثوريين، كما بقي ما يقارب (٢٠٠) ضابطاً روسياً متطوعاً لدى القوات الآثورية كمستشارين وخبراء عسكريين[٤٣].

ان انسحاب القوات الروسية من المنطقة كانت مفاجأة كبيرة لم تستعد لها القيادة الآثورية وانها فقدت بذلك القوة التي كانت تعتمد عليها دوماً لبناء اهدافها ومستقبلها لذلك رأت نفسها ضعيفة مرة اخرى وحاولت الحصول على قوة بديلة لاكمال خطواتها ، هذا من جانب، ومن جانب آخر ان عملية الانسحاب تلك قد شكل فراغاً عسكرياً كبيراً في المنطقة، فراغاً يؤثر على مستقبل الوضع العسكري وسير احداث الحرب، وبشكل سلبي على الحلفاء حيث لم تكن باستطاعة القوات البريطانية ملأه، لذلك كانت هناك حاجة ماسة بين بقية الحلفاء لحشد قوات آثورية محلية لمنع تقدم ورجوع الجيش العثماني الى المنطقة، ولاجل ذلك وقع اختيار بريطانيا عليهم للقيام بهذه المهمة الصعبة، وانها حاولت وبواسطة موظف الاستخبارات الانكليزي (د.ف.غريسي) بذل اقصى الجهود ، وقطعت على نفسها للاثوريين وعوداً كاذبة، حيث اجتمع غريسي بمارشمعون بحضور ممثل فرنسا (د.ب.كوجول)، وامريكا (ملازم مكدافيل) والمبشر الامريكي والقنصل (د.شيد) وممثل ماوراء القفقاس نائب قنصل اورمية (ف.ب.نيكتيين) في اورمية في كانون الثاني ١٩١٨، وقد دعا غريسي الآثوريين في اجتماعه الى الاستمرار في النضال المسلح ووعدهم رسمياً بجميع المساعدات المالية والسياسية من قبل دول التحالف، واعطاعم وعداً قاطعاً بانشاء دولة آثورية لهم في كوردستان[٤٤]. وهكذا اصبح الآثوريون مرة اخرى ورقة رابحة بيد دولة اوربية وهي بريطانيا ، اما القيادة الآثورية بسبب ضعفها وقصر نظرها السياسي لم يكن لها خيار، بعد خروج روسيا من المنطقة، الا الاعتماد على بريطانيا وتسليم نفسها لها ، بغية تشكيل كيان قومي، الذي لو قدرت الظروف بتشكيله لاصبح الآثوريون فيها اقلية حاكمة لا بقاء لهم الا باعتمادهم على المساندة المباشرة لدولة اوربية كبرى.

تشكلت الكتائب الآثورية بمساعدة فرنسا وبريطانيا بهدف ملء الفراغ العسكري الذي احدثه انسحاب الجيش الروسي والذي ادى بدوره الى تفاقم وتصعيد التوتر وظهور شعور معادٍ وقلق لدى اهالي المسلمين العزل تجاه الآثوريين المسلحين تسليحاً

جيداً، والمتعطشين للقتال والثأر، والذين ما لبثوا ان قاموا، وفي مقدمتهم القبائل النسطورية التي تعرف بـ(جيلوس Jelos)، بحملات القتل والسلب والنهب بحق سكان ضواحي مدينة اورمية، ولو ان تلك الكتائب الآثورية كانت اسمياً تحت قيادة ضباط من روسيا البيضاء، ولكنهم عملياً كانوا يفعلون ما يشاؤون وغير مقيدين باوامر مارشمعون الذي بدأ يفقد مكانته اكثر فاكثر لصالح آغا بطرس الذي قد سجن مرة في كندا في قضية احتيال قبل انتقاله الى روما حيث تلقى هناك ميدالية من الفاتيكان جراء خدماته للكاثوليكية، واشرف هذا القائد العسكري على خلق ميليشيا عشائرية آثورية متعطشة للدماء، وقضت معظم اوقاتها بسلب ونهب قرى المسلمين الاذريين والكورد(٤٥)، واستغل هذا الموقف بعض المسيحيين ممن هاجروا الى الولايات المتحدة فعادوا لتصفية حساباتهم القديمة مع جيرانهم المسلمين السابقين، ومما زاد في الطين بلة انتشار المجاعة والاوبئة في اورمية، حيث كانت جماعات من اللاجئين الكورد الذين يموتون جوعاً يلتمسون حماية مضطهديهم المسيحيين(٤٦).

يتهم الكاتب الايراني دهقان مارشمعون مباشرة بخصوص اشعال نار الفتنة والحرب الاهلية وباقامة مذابح جماعية للمسلمين في مدينة اورمية في شباط ١٩١٨ ويقول تحت عنوان (نوايا الآثوريين) ما يلي: «فمما هو معروف ان مارشمعون الزعيم الروحي للاثوريين كان يحلم بالسلطة والحكم ويحاول الاستفادة من الفوضى والوضع المرتبك في المنطقة لتشكيل دولة آثورية مستقلة على اراضي ايرانية وعثمانية، وقد طرد العثمانيون هؤلاء من سكناهم وعملوا على تصفيتهم مما اجبروا على ترك مناطقهم واللجوء الى ايران، وكان مارشمعون نفسه واحداً من هؤلاء الفارين، الا انه بعد لجوئه الى ايران استغل سياسة الحلفاء في انشاء كتائب عسكرية في منطقة آذربيجان لتصفية الاهالي المسلمين في المنطقة بهدف اقامة دولته المستقبلية الطوباوية، ولان مارشمعون زعيماً دينياً كان الاجدر به الابتعاد عن اللعبة السياسية والاقتتال، ولكنه ظل يشجع الآثوريين على شراء الاسلحة والتسلح ويحرضهم لقتال المسلمين)(٤٧).

كما يشير دهقان الى الدور السيء الذي لعبه مستر (شيد) الرئيس المذهبي للبعثة الامريكية وضباط الروس البيض في تلك الحرب الاهلية التي استمرت حسب قوله مدة (١٥٩) يوماً راح ضحيتها من الجانبين ربع مليون انسان وعلى مرأى الموظفين والمسؤولين الاوربيين الذين كونوا انقساماً عميقاً بين المسيحيين والمسلمين في المنطقة(٤٨).

ان اندلاع الحرب الدينية والاهلية بين الآثوريين والاهالي المسلمين من الاذريين والكورد في اورمية قد جعلهم يحاولون بجدية السيطرة على الموقف والبقاء اقوياء، ويفكرون بترجيح كفة ميزان القوى لصالحهم ضد المسلمين والحكام الايرانيين في اورمية، وخصوصاً اذا عرفنا ان الآثوريين كانوا اقلية وضعفاء مقارنة بمسلمي المنطقة من حيث العدد لا العدة، لذلك وبارشاد وبتخطيط الضباط الانكليز وبخاصة (غريسي) المشرف العسكري البريطاني في المنطقة حاول الآثوريون جاهدين استمالة اكبر زعيم قومي كردي في شرق كوردستان واكثرهم قوة وجرأة ومناورة وهو اسماعيل آغا الشكاكي المعروف شعبياً بـ سمكو- صاحب اكثر من ٢٠٠٠ مقاتل من الاكراد، ويذكر ويگرام بان مصلحة الانكليز في ذلك كانت تتمثل بوضع خط دفاعي متلاحم بوجه الخطر العثماني وعودته الى آذربيجان[٤٩].

ان اكثر المصادر والدلائل التاريخية المعاصرة للاحداث والقريبة لها ان لم نقل جميعها تؤكد وتؤيد بان الزعيم الآثوري بنيامين مارشمعون وبأرشاد غريسي هو الذي دعا سمكو للقاء به بهدف التباحث والتفاوض وعقد التحالف بين الجانبين، كما ان مكان اللقاء وهي (كهنه شار)البعيدة عن معقل سمكو- چهريق قد اختاره مارشمعون بنفسه[٥٠]، وهذا بخلاف ما تذكره عدد من المصادر بهذا السياق سواء عن جهل او عن قصد، فمثلاً جاء في احد المراجع ما يأتي «قرر مارشمعون الذي كان سيادته تحت تهديد اغا بطرس دعوة سمكو لاقامة تحالف كردي آثوري ضد العثمانيين وسافر برفقته خمسين فارساً الى مقر قيادة سمكو»[٥١] ولعل احسن دليل على ذلك هو ما يذكره الكاتب الايراني المعاصر للاحداث (تمدن) اذ يقول «لم يرفض سمكو دعوة مارشمعون الذي ارسل رسالة اليه يدعوه فيها للحضور الى سلماس لملاقاته»[٥٢].

وافق سمكو على هذه الدعوة بهدف اغتيال مارشمعون والتخلص منه، ويقول كسروي بانه لم يفصح عن نيته تلك حتى لاقرب المقربين اليه مثل اخيه علي آغا[٥٣] الا ان بارمتي يقول بان احد سكان الارمن في (كهنة شهر) كان يعرف بما يضمره سمكو من نوايا وانه ارسل احد ابنائه الى مارشمعون ليخبره عن نوايا سمكو في قتله ولكن هذا التحذير لم يسترع انتباهه[٥٤].

مهما يكن من امر فان اللقاء بين الاثنين ترتب عنه اغتيال الزعيم الآثوري بنيامين مارشمعون ومقتل معظم الحراس والجنود المرافقين له من قبل سمكو اغا وفرسانه، حيث يقول العقيد الروسي كوندارتيف الذي كان مرافقاً لمارشمعون في ذهابه للقاء

بسمكو (مكان اللقاء الذي ذهب اليه سمكو قبل مارشمعون- الباحث) «حيث كان على البطريرك اللقاء مع سمكو، رأينا كثيراً من الناس المسلحين واقفين على اسطح المنازل وظننا انهم اقبلوا لرؤيتنا، وتقدم سمكو من البطريك واستقبله بكثير من الاحترام وادخله الى الدار وهناك تكلم البطريك بكثير من الصراحة عن السلام اذ قال: اؤكد لكم بانه ليس لنا اية رغبة في الحاق الضرر بايران او احتلال اي جزء من اراضيها (هذا يتناقض مع الاهداف الاثورية في اقامة دولة اثورية في دولة آثورية مستقلة في المنطقة والتي كان مارشمعون يعبر عنها بصراحة ويعمل لها- الباحث- نحن نريد فقط حماية انفسنا من الهجوم التركي ...، واجاب سمكو بانه متفق مع ذلك تماماً، ثم نهض البطريرك للعودة ورافقه سمكو حتى بوابة الدار، وعندما اراد مارشمعون الجلوس في عربة الخيل انطلق دوي الرصاص نحو البطريرك وقتل والحق برشقات من فوق السطوح ومن نوافذ المنازل مما ادى الى مقتل اغلب الحراس المرافقين له وكان من بين الذين نجوا داويد اخ المارشمعون وقائد السرية دانييل[٥٥].

اما الكاتب الايراني المعاصر للاحداث تمدن- فيذكر عملية الاغتيال قائلاً:

«ذهب مارشمعون الزعيم الروحي للنسطوريين في ٢٨ جمادي الاول ١٣٣٦ه قمري المصادف ٢٥ اسفند ١٢٩٦ هجري، شمسي (١٦و١٧آذار ١٩١٨- الباحث)، الى سمكو زعيم جماعة كبيرة من الاكراد المسلحين بهدف اقامة علاقات طيّبة ومتينة مع الاكراد، وانه ارسل رسالة الى اسماعيل اغا في مقره بـ جهريق دعاه للحضور الى سلماس لملاقاته... وهكذافقد استجاب اسماعيل اغا لدعوة المارشمعون وذهب لرؤيته وقد جرى اثناء اجتماعهما الحديث عن اقامة علاقات ودية وصداقة بين الجانبين بالاضافة الى مناقشة مواضيع حول مستقبل منطقة آذربيجان الغربية واوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية...، وبعد انتهاء المحادثات ترك مارشمعون مكان الاجتماع بهدف الرجوع ولكن اسماعيل اغا الذي كان عارفاً بشكل جيد بمخارج ومداخل الموقع كان قد اصدر اوامره مسبقاً الى مائة من فرسانه بمحاصرة موكب مارشمعون بشكل سري وينفذوا الخطة المتفق عليها، وهكذا عندما تقرب مارشمعون من موكبه سمع صوت لمسدس سمكو اغا اصاب مارشمعون ووقع على اثره كما لحقته اصوات بنادق فرسان سمكو ليفقد جميع مرافقي مارشمعون حياتهم على اثرها ولم ينج منهم الا واحد او اثنان هربوا من الموقع راجعين الى الجموع الاثورية المسلحة لينقلوا لهم اخبار اغتيال مارشمعون[٥٦].

امامنا جملة من الاراء والاقوال المختلفة والمتضاربة حول الدوافع والاسباب التي

دفعت سمكو للقيام بعملية اغتيال مارشمعون، وقد حاول الكتاب والموظفون البريطانيون بشكل خاص كذلك المؤلفات المسيحية بشكل عام، تقييم هذه العملية وفق منظورها فوصفوها بالغدر والخيانة والجبن، كما حاولوا من خلالها تشويه شخصية سمكو وجعلوها نقطة للتهجم عليها، لذلك فاننا نسمع اقوالاً في هذا السياق تحيرنا لعدم موضوعيتها ومحاولتها عرض هذه الحادثة بمعزل عن الحوادث الاخرى والجو المتوتر الذي كانت تعيشها المنطقة والعداء الشديد بين المسلمين والاثوريين اللاجئين فيها، وتناقض وتضارب اهداف كل منهما.

في البداية نبدأ بعرض ما ذكره الكتّاب الايرانيون المناوئون لسمكو والحركة التحررية القومية الكوردية في ايران، الذين رغم مكانتهم الكبيرة من الناحية الثقافية والعلمية الا انهم يتسمون بالازدواجية والتحيز في مجال تفسيرهم لهذه الحادثة، فان هؤلاء عندما يذكرون عمليات الاغتيالات السياسية التي كانت تنفذها السلطات الايرانية الحاكمة في المنطقة بحق زعماء الكورد ورؤسائهم بمن فيهم اسماعيل اغا الكبير الجد الاعلى لسمكو، وجده علي اغا واخوه جعفر اغا وابوه محمد اغا، وسمكو نفسه فيما بعد عام ١٩٣٠، فانهم يصفونها بالشجاعة والدهاء والكفاءة السياسية، وينعتونها بـ (لطائف الحيل) في تاريخهم، اما في تقييمهم لما قام به سمكو فيصفونه بالجهل والتسرع والغدر، وهكذا ما يسمحون به لانفسهم يمنعونه عن غيرهم، ولذلك نسمع اقوالاً منهم في هذا المجال تؤكد ازدواجيتهم وتقلل من مكانتهم العلمية، ومن الجدير ان نجد هنا ما كتبه الكاتب الايراني المختص في شؤون اذربيجان (احمد كسروي) عن الحادثة وخصوصاً بعد ان يعترف صراحة بنية الاثوريين في اقامة دولة قومية مسيحية لهم على اراضٍ كوردية وبمساعدة الدول الاجنبية الاستعمارية، وخاصة (روسيا وبريطانيا وفرنسا) ومحاولة مارشمعون استغلال قوة ومكانة سمكو لتصفية بقايا القوات الايرانية والاذريين الايرانيين في المنطقة بما يلائم الاهداف القومية الاثورية، ذاكراً ما يلي:

«يقال بان سمكو قد قال بعد تلك الحادثة بانه كثيراً ما زار الملاهي والكابريهات عند اقامته الاجبارية في تفليس في روسيا واستمتع هناك كثيراً الا ان كل ذلك التمتع لايقاس بشيء عند مقارنته بالتمتع الذي ذاقه عند رؤيته مشهد قتل (١٤٠) فارساً اثورياً في لحظة واحدة»[٥٧].

هكذا يحاول هذا الكاتب ان يقول لنا بصراحة بان سمكو قتل مارشمعون لكونه

مجرماً يتمتع بقتل الاخرين، هذا التحليل الغريب الساذج يتفق معه عالم ايراني اخر عندما يقول: «ان سمكو لم يقدم على اغتيال مارشمعون انتقاماً وتأثراً لما قام به الاثوريون من مذابح بحق اهالي اورمية المسلمين- اي بدافع التعصب للايرانيين والمسلمين -الباحث- وانما قتله لانه بطبيعته كان سفاكاً ومجرماً سفاحاً»(٥٨)

* ويقول الكاتب الايراني د. نصرالله شيفته في معرض حديثه عن الحادثة: «قدم سمكو بعد قيامه بهذه العملية الغادرة خدمة كبيرة للاتراك، تلك الخدمة التي جعلته موضع اهتمامهم، حيث بعد احتلال الحلفاء لاستنبول واخلاء اذربيجان من قبل الجيش التركي، قام الاتراك برد الجميل وتركوا لسمكو الكثير من الاسلحة والمدافع، ووضعوا تحت تصرفه كثير من الجنود والضباط الاتراك وهم يرتدون الملابس القومية الكوردية»(٥٩).

* واستأثرت عملية اغتيال المارشمعون باهتمام الموظفين والجواسيس البريطانيين والاجانب الاوربيين في المنطقة لانهم لم يكونوا يتوقعون قيام سمكو بعمل كهذا لذلك نراهم عند حديثهم عن سمكو يوجهون له تهم وشتائم كثيرة وينعتونه باقبح النعوت منها (محمدي متعصب، غادر، قاتل المسيحيين، انتهازي من نوع خاص)(٦٠) وغيرها من النعوت التي تعكس ما يكنه هؤلاء من كره وحقد وبغض تجاه سمكو، كما يحاولون دائماً تضخيم الحادثة واعطائها اهمية اكثر من حجمها الحقيقي، فيتهم ويكرام الحكومة الايرانية بانها كانت وراء عملية الاغتيال ويقول بان الاثوريون حصلوا فيما بعد على رسالة بعثها الوالي الايراني لتبريز (مهدي شمس) الى سمكو يطلب منه فيها قتل مارشمعون كما يؤكد بان عجز الايرانيين في الوقوف بوجه التطلعات الاثورية، وهزيمتهم في ميدان حرب اعتيادية الجأتهم فوراً الى الخديعة، وتمكنوا من استمالة سمكو اغا فدبر امر اغتيال مارشمعون(٦١) وتؤيد ذلك المراجع الغربية الحديثة كذلك بعد ان تصف ما قام به سمكو بالغدر والخيانة(٦٢).

* اما ايگلتن فيعلل ذلك بقيام الاتراك باعطاء رشوة لسمكو مقابل تنفيذ العملية(٦٣)، وذهب دانيال متي الى غير ذلك فانه بعد ان يتهم سمكو بالتعصب الديني- فاناتزم يقول بانه قام باغتيال مارشمعون بتحريض من الانكليز انفسهم وذلك للتخلص من مارشمعون الشخصية غير المرغوبة لدى الانكليز «وتهيئة الظروف امام منافسه المحتال اغا بطرس للانفراد بزعامة الاثوريين واستئثاره بالسلطة»(٦٤).

ومن المفيد ان نسجل هنا آراء عدد من الكتاب الكورد عن الحادثة، فباستثناء فئة منهم لم يتسرعوا في الحكم على الحادثة، نرى ان اغلبهم تاثروا بما كتبه الاجانب ضد سمكو، بدون دراسة جذور الاحداث والظروف الموضوعية والذاتية التي كانت تعيشها المنطقة بشكل عام والتطلعات والاهداف القومية للشعوب المتنازعة على الساحة بشكل خاص، ومتأثرين باسلوب المجاملة السياسية اكثر من اعتمادهم على النقد التاريخي للاراء المعادية المتضاربة. لذلك فان آراءهم واقوالهم تتصف بالسطحية في اغلب الاحيان وتدور حول اتهام سمكو لقيامه بعمل سيء وشنيع وغير حكيم وما الى ذلك من اقوال. فعلى سبيل المثال لا الحصر نسجل هنا اراء عدد منهم:

يقول الدكتور كمال مظهر «وكان اسوأ ما قام به في هذا المجال تدبيره اغتيال المارشمعون بنيامين مع عدد كبير من اعوانه في اليوم الثالث من آذار من العام ١٩١٨ بعد ان دعاه للاجتماع به بحجة التباحث معه حول مستقبل شعبيهما المتجاورين مما ترك آثاراً جداً سلبية على العلاقات الاثورية- الكوردية فيما بعد»[٦٥].

اما الدكتور جمال نه به ز فيقول «ان سمكو لم يكن حكيماً في سياسته لذلك ارتكب اخطاءاً عديدة، فمثلاً كان لسمكو موقف غير عادل تجاه اخواننا الاثوريين»[٦٦].

اما الكاتب عبدالرقيب يوسف فيتهم الاتراك مباشرة وبالاخص حاكم وان (جواد باشا) حيث يقول «ان جواد باشا ارغم سمكو على القيام بمقتل مارشمعون ووعده في حالة انجازه لتلك المهمة اعادة ابنه خسرو وامواله التي صادرتها القوات التركية بعد هجومهم على سمكو»[٦٧]، في الواقع ان هذا القول بعيد عن الحقيقة التاريخية لان حادثة اغتيال مارشمعون كان في آذار ١٩١٨ بينما هجوم الترك على سمكو ووقوع ابنه وامواله بايديهم حدث في اواخر عام ١٩٢٢، لذلك ليس هناك اية رابطة تاريخية بين الحادثتين.

ونجد نفس الرؤية السلبية تجاه الحادثة لدى العديد من السياسيين الكورد، وابرز هؤلاء د. قاسملو الذي يقول «ان مقتل مارشمعون كان عملية خاطئة وبتحريض من الانكليز»[٦٨]، اما د. شرفكندي فيذكر «ان سمكو قتل مارشمعون بدافع التعصب الديني وموالاته للعثمانيين، ولانه كان على صلة قرابة مع الهركيين الذين كانوا على علاقة سيئة مع آثوريي كوردستان الشمالية- اي بدافع تعصب ديني عشائري-

الباحث[٦٩].

وعندما نسطر آراء السياسيين الكورد البارزين تجاه هذه الحادثة ينبغي ان لانترك ما يقوله جلال الطالباني بحقها، اذ ان الطالباني يشير الي عملية الاغتيال اكثر من مرة في احدى كتبه، ويقول «يجمع المورخون على ان العلاقات بين الكورد المسلمين واخوانهم المسيحيين الكوردستانيين وبين الطوائف المسيحية غير الكوردية كانت على مر الايام علاقة مودة واخاء وتضامن، وللاكراد ان يفخروا بهذه العلاقات الحسنة وتطورها نحو الافضل حتى يومنا هذا... ولاتوجد في تاريخ هذه العلاقات الا حادثة واحدة تعكر صفو هذه الاخوة التاريخية لفترة زمنية محدودة وهي المذبحة الاجرامية التي دبرها (اسماعيل اغا الشكاك) ضد اخواننا الاثوريين»[٧٠] ويضيف الطالباني قائلاً:

«ان عملية الغدر والابادة التي قام بها سمكو ضد جماعة من اخواننا الاثوريين الذين كانوا على الدوام من اشقاء الاكراد ومواطنين معهم في الوطن تستحق الاستهجان والشجب الصريحين»[٧١].

وفيما يخص الكاتبين كريم زند وعبدالمنعم الغلامي فيأتيان بحادثتين يعتقدان بانهماكانتا وراء عملية الاغتيال فيقول الاول «اغتال سمكو مارشمعون لان الاخير قال اثناء اجتماعهما: ان كوردستان كانت ارضنا وملكنا سابقاً»[٧٢]

بينما يقول الثاني: «ان عدداً من النساء الكورديات دخلن على سمكو اثناء اجتماعه مع مارشمعون ونددن به وذكرنه بشكل مثير بالفضائع التي ارتكبها الاثوريون مع الاكراد طيلة الحرب العالمية الاولى، فبدت على سمكو اثار الغضب وثار في الحال بوجه مارشمعون واطلق عليه الرصاص وارداه قتيلاً»[٧٣].

ومهما يكن فان جميع هذه النصوص تجعلنا ان نرتب دوافع سمكو لاغتيال مارشمعون كالاتي:

اولاً: الدافع الخلقي والنفسي.
ثانياً: الدافع المادي وعلى اختلاف الجانب المقدم للمال سواء الترك او الايرانيين.
ثالثاً: دافع التعصب الديني.
رابعاً: دافع التعصب العشائري.

خامساً: الدافع التحريضي من قبل الانكليز.

ان الدارس لشخصية سمكو شكاك يتوصل الى قناعة تامة بان كل الدوافع اعلاه لايمكن تصديقها او الاعتماد عليها حتى نسبياً في تحليل عملية اغتياله لمارشمعون، فاننا عند دراستنا لهذه الشخصية والتي وصفتها جريدة فجر الشرق السوفيتية في عددها (١٣٠٦) الصادر في تشرين الثاني عام ١٩٢٦ بانه سياسي كبير في نطاق ضيق[٧٤] والتي يقول هاملتون بحقه «سمكو احد اشهر ما انجبته كوردستان من الثوار»[٧٥] كما يشهد تمدن على تصرف سمكو مع اعدائه بعد تحريره لسابلاغ ووقوع رئيس الحامية الايرانية (ملك زاده) وعدد كبير من الضباط والجنود الايرانيين في اسره «ان سمكو لم يقتل الاسرى الايرانيين بل اعتقهم جميعاً ومن ضمنهم ملك زاده وجميع الضباط الاخرين حيث خاطب سمكو ملك زاده بعد ان اعتقه: اذهب ايها الرجل الى سيدك في تبريز (مخبر السلطنة- والي آذربيجان) وقل له بان لايكون سبباً في مقتل هؤلاء الفتيان الذين هم في ريعان شبابهم وانصحه ان لايجعلهم غذاءً لفوهات المدافع»[٧٦] وهناك دلائل تاريخية اخرى كثيرة في تاريخ هذه الشخصية تؤكد بانه ذو مستوى اخلاقي رفيع ، ولايمكن باي حال من الاحوال التسليم بآراء الكتاب الايرانيين المنحازين والذين يتسم نظرهم بالنظرة الديكية للاحداث ومن الناحية الفكرية يعتبرون من الد اعداء الكورد وتطلعاتهم القومية.

ويورد حسن ارفع، وهو من قادة الجيش الايراني، وشارك في قمع انتفاضات الشعب الكوردي، وحركة سمكو بالذات حادثة فريدة تدل على شهامة سمكو وتسامحه حتى مع اعدائه فيقول: «استدعى سمكو ضابطاً من الاسرى الايرانيين ليعلمه كيفية استخدام الرشاشة، وفي اثناء محاولة الضابط تجربة الرشاشة وجه فوهتها صوب سمكو ليقتله، الا ان سمكو قفز مسرعاً وامسكه ، قائلاً: «شكراً الان تعلمت كيف تستخدم الرشاشة» ولم يتخذ ضده اي اجراء، بل قام باطلاق سراحه وسراح بقية الاسرى بعد ان اكرمهم باعطاء كل منهم ليرة ذهبية، وامر رجاله بمرافقتهم الى حدود تواجد القوات الايرانية»[٧٧].

اما فيما يخص الدافع المادي فالمعروف ان سمكو كان رئيساً لعشيرة شكاك الكوردية في كوردستان الشرقية والتي تعد حينذاك ثاني اكبر عشيرة، وتعيش في مناطق واسعة غربي بحيرة اورمية منشغلة بالزراعة والنشاط الرعوي والسيطرة على الطرق التجارية بين ايران والدولة العثمانية ورسيا القيصرية[٧٨] لذا لايعقل ان يقوم

سمكو بعملية كهذه و المغامرة بروحه لقاء حفنة من التومان الايراني او من الليرة التركية، خصوصاً اذا عرفنا بان كلاً من المسؤولين الايرانيين والاتراك كانوا يكرهون عشيرة شكاك وعلى رأسها عائلة سمكو نظراً للنفوذ والقوة العسكرية والمادية التي كانت تمتلكها، لذا لم يترددا في اية فترة تاريخية من القيام بهجوم مفاجيء علي العشيرة او اغتيال زعمائها بهدف اضعاف العشيرة والحصول على املاكها ومواردها المالية، وخير دليل على ذلك الهجوم التركي على سمكو بعد عبوره الحدود التركية اثر فشل حركته الاستقلالية الاولى (١٩١٩-١٩٢٢) ومصادرة امواله[٧٩] اما الدليل الاخر الذي يدل على عزة النفس لدى سمكو هو الموقف الذي وقفه في احرج فترة في حياته من ادموندز ممثل الحكومة البريطانية حينما التقى به في تشرين الاول عام ١٩٢٢ في قرية (ديري) التي تبعد (١٨) ميلاً شمال اربيل، حيث حاول ادموندز استغلال الظروف العصيبة التي كان يمر بها سمكو والتي تمثلت في فشل حركته في ايران وهجوم الترك عليه ومصادرة امواله في تركيا، وذلك لجعله اداة ضغط على الشيخ محمود الحفيد ملك كوردستان العراق ولجعل الاخير يخضع لمطاليب الحكومة البريطانية اللامنطقية، حيث حاول ادموندز ارشاء سمكو وبين له استعداد حكومته لاعطائه اي مبلغ او اي منصب يختاره فكان جواب سمكو «لا احتاج الى المال اطلاقاً... كما اننا لاجئون عند اخواننا الذين في ثورة ضدكم. اول مسألة يجب بحثها هي استقلال كوردستان وتحريرها، اما مسألة تعيين الحكام عليها فلابد ان يكون ذلك وفق رغبة الاهالي انفسهم»[٨٠].

اما فيما يخص الدافعين الاخريين الثالث والرابع، فان دراسة بسيطة لحركات سمكو وحياته الشخصية تظهر بانه بريء الى ابعد الحدود من تهمة التعصب ، اذ انه كان رجلاً متفتحاً غير متحفظ او متدين الى درجة تذكر، فان علاقاته مع الروس والاتحاديين الانتي اسلاميين، وكرهه الشديد للسلطان عبدالحميد الثاني، بما في ذلك عدم استجابته لدعوة الجهاد التي اعلنتها الدولة العثمانية ضد الحلفاء اثناء الحرب العالمية الاولى وتعامله مع الروس في بعض فترات الحرب[٨١] من اجل اقامة دولة كوردية مستقلة، ويروي لنا المؤرخ الايراني (افشار) حادثة تدل على روح التسامح والتفتح الديني لدى سمكو ويبرئه من اية تهمة توجه اليه من ناحية التعصب للاسلام ضد المسيحيين، اذ يقول « عندما شدد سمكو حصاره على مدينة اورمية بهدف السيطرة عليها في نيسان ١٩١٩، قامت اللجنة العسكرية الايرانية التي تألفت للدفاع عن المدينة، من جانبها بتحريض الاذريين الشيعة على مهاجمة المسيحيين داخل المدينة ونهب ممتلكاتهم واموالهم وقتل عدد كبير منهم، الامر الذي اغضب رئيس المبشرين الامريكيين السيد (موللر)

كثيراً، اذ قرر ان يجمع المسيحيين ويخلصهم من شرور الاذريين الشيعة باخراجهم من المدينة، حيث اتصل موللر بسمكو ليعطي مجالاً مناسباً للمسيحيين للخروج من المدينة، وفعلاً سمح سمكو للمسيحيين بالخروج وانقذهم من اضطهاد السلطات الايرانية وخطر الموت المؤكد على ايدي اذريي اورمية»[٨٢].

واستناداً الى ما سبق نستطيع ان نقول، ان سمكو لم يكن متعصباً دينياً وان حركاته ونشاطاته السياسية تدل على ذلك، وتتقاطع مع ما ذكره الدكتور عثمان علي[٨٣]. لان الاسلام لم يكن يستخدم حينذاك كآيدويوجية سياسية في نضال الاقليات القومية لاسيما بعد الهزيمة التي الحقها الحلفاء بهذه الايدلولوجية والذي تمثل بهزيمة الدولة العثمانية في الحرب، ونتيجة لذلك حلت الفكرة القومية والنضال من اجل حق تقرير المصير محل الايديولوجية الدينية.

اما عن التعصب العشائري فلا نرى لسمكو اي توجه اليه الا مجبراً، بدليل ان جيشه كان خليطاً من ابناء عشائر كوردستان الشرقية مثل (منگور، مامش، هركي، پيران) فضلا عن حرسه الخاص من الشكاك، فعند تحريره لمدينة اورمية في بداية عام ١٩٢١ لم يعين احداً من اقربائه حاكما عليها، بل عين احد الرجال الكفوئين (تيمور اغا) حاكماً عليها، ولم يكن بينهما اية صلة قرابة[٨٤]، والدليل الاكثر اهمية هو ما قاله سمكو في انتقاده لسياسة الشيخ محمود الحفيد واعتماده على اقربائه في ادارة حكومته في السليمانية على شكل نصيحة اخوية ما يلي:

«اذا اردت ان تحكم جيداً فعليك التخلص من قائد جيشك الشيخ قادر الحفيد اخو الشيخ محمود- لان وجوده لاينسجم مع اهدافك وتطلعاتك ان من يصمم على تشكيل الحكومة وخوض السياسة لابد ان يقيس القريب باخلاصه وكفاءته، انك يجب ان تختار اما بين اهلك واقربائك او حكومتك ورعيتك، فمن المعلوم في الادارة والسياسة ان من يصبح عائقاً امام انتصارك ونجاحك وتقدمك عليك ان تقتله سواء اكان اخاً ام من الاقرباء المقربين»[٨٥].

اما بالنسبة للدافع الاخير، فانه ابعد من الدوافع الاخرى في الاخذ به او اضعف الجميع ان صح التعبير، فليس هناك دليل واحد يؤكد او يشير الى وجود اي دور تحريضي للانكليز لا من قريب ولا من بعيد في حادثة اغتيال مارشمعون ولم يكن لسمكو اية اتصالات مباشرة او غير مباشرة مع الانكليز الا بعد عام ١٩١٩، ففي

تموز ١٩٢١ ارسل سمكو رسالة الى بابكر اغا البشدري يطلب منه ان يكون وسيطاً بينه وبين المسؤولين الانكليز في العراق، وكان هذا نابعاً طبعاً من دهاء سمكو السياسي ونظرته الواقعية للسياسة الدولية وخاصة بعد خروج روسيا القيصرية من الساحة وانهيار الامبراطورية العثمانية، فيحاول سمكو ان يبرر ما فعله بخصوص زعيم الاثوريين ويفهم بريطانيا بانه لم يقصد في ذلك اهانة بريطانيا المسيحية المحركة للاثوريين، حيث يقول في رسالة مخاطباً بابكر اغا:

«انني ادرك ان تهمة الخداع ملصقة بسمعتي ولكنني اخاطب من لهم شأن بالصورة التالية: لم تهدف تصرفاتي الحالية والماضية معاداة الحكومة البريطانية، وبالعكس فانني ارغب مخلصاً ان اقيم علاقة الصداقة مع هذه الحكومة لذلك التمس ان تتوسطوا عني لاجل تنظيم تفاهم وتبادل ..... وهناك نقاط كثيرة يمكن الاتفاق حولها لمنفعة الطرفين عن طريق التفاهم»[٨٦]

اما الموظفون الانكليز فكانوا حاقدين على سمكو وينظرون اليه بعين الشك وعدم الثقة فقد كان الضابط السياسي البريطاني في تبريز السيد (برستو توريس) معادياً جداً لسمكو حيث يصفه وانصاره بـ المحمدين المتعصبين ويطلب من الحكومة البريطانية بعدم التعامل مع سمكو (قاتل المسيحيين- حسب قوله)،[٨٧] وقد جاء في مذكرة الضابط السياسي البريطاني في السليمانية المرسلة الى المندوب السامي البريطاني في بغداد حول الرؤية البريطانية لشخصية سمكو ما يلي:

«وفيما يخص شخص سمكو فهو شاب وقوي وقاسي ولايعتمد على كلامه دائماً ولكن في الوقت نفسه لو لم يكن هو كذلك لما كان باستطاعته الاحتفاظ بهذا الموقف القوي الذي حصل عليه..»[٨٨]

وهكذا فان معظم الدلائل تؤكد ما ذهبنا اليه، علماً ان الحكومة البريطانية كان لها دور كبير في فشل حركات سمكو الاستقلالية بمساعدتها للحكومة الايرانية مادياً وعسكرياً وبالخبرة والارشادات، كما رحبت الصحافة البريطانية بانتصار القوات الايرانية على سمكو[٨٩] وجاهرت الحكومة البريطانية في كل مناسبة بعدائها لسمكو وحركاته، ان هذا العداء الواضح من جانب الحكومة البريطانية والمسؤولين الانكليز في المنطقة تجاه سمكو قد ادى بان يعتقد بعض من الكتاب الكورد بان اغتيال سمكو في عام ١٩٣٠ كان بتخطيط وارشاد ومتابعة من المسوولين الانكليز في ايران[٩٠].

بقي ان نقول : اذا كان كل تلكم الدوافع التي ذكرناها لم تكن لها اي دور اساسي يذكر في اغتيال سمكو للزعيم الاثوري بنيامين مارشمعون، ما هو اذن الدافع الحقيقي لقيامه بتلك العملية؟.

من المعروف ان سمكو كان من الزعماء القوميين الاقوياء في كوردستان، وان هدفه من حركاته واضح تماماً وهي اقامة دولة كوردية مستقلة، وقد بدأ سمكو يعمل لهدفه منذ زمن بعيد فعندما انسحب الشيخ عبدالسلام البارزاني امام القوات التركية الى كوردستان الشرقية بقي فترة من الزمن عند سمكو وذهبا معاً لزيارة نائب القيصر الروسي في القفقاس ليطلبا منه مساعدة روسيا القيصرية لتحقيق اهداف الحركة التحررية الكوردية المتمثلة بالانعتاق القومي[٩١]. وعند التجاء الزعيم الوطني عبدالرزاق بدرخان الى كوردستان الشرقية تعاون الزعيمان واسسا اول مدرسة كوردية في ايران في تشرين الاول عام ١٩١٣[٩٢]، كما قاما بتأسيس جمعيتين سياسيتين قوميتين ولاول مرة في تاريخ كوردستان الشرقية وهما جمعيتي (جيهانداني- اي معرفة العالم) التي تاسست عام ١٩١٢ وكانت تحاول قيادة النضال التحرري الكوردي في مسار صحيح وفي اطار موحد، وجمعية (استخلاص كوردستان) التي عملت قبل الحرب وفي سنوات الحرب ذاتها وكانت تطالب بوحدة الكورد جميعاً وانشاء دولة كوردستان المستقلة الموحدة[٩٣].

ويعلق كسوري على تطلعات سمكو القومية قائلاً: «ان الكورد كانوا دوماً ينتهزون الفرص للقيام بوجه الحكومة الايرانية والتمرد عليها، فقد فعل ذلك قبلاً اسماعيل اغا الاول (جد سمكو) وجعفر اغا- اخوه، الا ان سمكو تمرد الان ويريد الاستقلال لكوردستان والانفصال عن ايران... ان الكورد اليوم يستمتعون كثيراً الى كلمة الاستقلال ويستعملونها في كتاباتهم، وينوي سمكو الان تقليد القوميين الاحرار من الاتراك الاتحاديين الذين كونوا جمعية (الاتراك الفتيان) وانه يحاول ان يشكل مثلهم جمعية قومية باسم (الاكراد الفتيان)[٩٤].

ويقول توماس بويس «منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى كان سمكو منشغلاً بتهيئة المناخ الملائم للاستقلال عن ايران»[٩٥].

ويقول الباحث جرونسن «وبعد الانقلاب الشيوعي في روسيا وإبان انسحاب جنود الروس واجلائهم عن كوردستان استولى سمكو على اسلحتهم بضمنها ثلاثة مدافع

ميدان والرشاشات الاتوماتيكية، كما وكانت الاسلحة ترسل الى سمكو من الاجزاء الاخرى من كوردستان، اذ كان قد اشتهر عهد ذاك كاكبر زعيم قومي كوردي»[٩٦].

ومما هو جدير بالذكر ان سمكولم يكن يسعى الى انشاء دولة كوردية مستقلة على اراضي كوردستان الشرقية فقط، بل كان هدفه توحيد جميع اراضي كوردستان الكبرى في دولة قومية مستقلة موحدة وهذا يظهر واضحاً في قول مس بيل سكرتيرة الدائرة الشرقية للمندوب السامي البريطاني في العراق، حيث تذكر:

«ففي ايار ١٩١٩م اوفد سمكو السيد طه الى بغداد للتباحث مع الانكليز ونيل تأييدهم لانشاء دولة كوردية مستقلة، وقد عرض السيد طه المطالب الكوردية على المسؤولين الانكليز في بغداد، تلخصت بما يلي:

١- تدعم بريطانيا انشاء دولة كوردية فيدرالية مكونة من الولايات الكوردية في ايران وتركيا.

٢- تقدم الحكومة البريطانية الدعم المالي والعسكري للدولة الكوردية مقابل قبول الكورد الانتداب البريطاني عليهم اسوة بالحالة في العراق»[٩٧].

وفي مكان آخر تذكر مس بيل ايضاً «على ان عداءه (سمكو، الباحث) لايران التي عقدنا معها اتفاقية خاصة، وضع حداً لاي امل يمكن ان يعقده على مساعدتنا لتكوين وحدة قومية بين تركيا وايران»[٩٨]، وقد ذكر سمكو في احدى رسائله التي يخاطب فيها (ظفر الدولة) القائد العام لقوات فرق القوزاق الايرانية والمؤرخة في ٣١ مايس ١٩٢٢ عن اهدافه، ما يلي: «.... عليك معرفة شيء مهم وهو ان الشعوب الصغيرة التي لايبلغ حجمها ربع حجم شعب كوردستان قد حصلت على الحكم الذاتي من الحكومات العظمى ... في الحقيقة والواقع اذا لم يحصل هذا الشعب العظيم على حقوقه من ايران فانه يفضل الموت على الحياة وسواء منحتنا ام لم تمنحنا ايران حقوقنا فاننا سنجعل كوردستان تتمتع بالاستقلال»[٩٩].

وهكذا يظهر من خلال النصوص السابقة، بان سمكو كان خريج المدرسة القوميةوانه لتحقيق اهدافه القومية كان مستعداً للتضحية باعز ما لديه والوقوف ضد ما يمنعه من تحقيق ذلك الهدف. وهذا يساعدنا على فهم الدافع الحقيقي لاغتياله مارشمعون وخاصة بعد ان كشفت في فترات ليست ببعيدة وثيقة من الخارجية البريطانية فيها مقابلة صحفية اجرها الشخصية الكوردية المعروفة مصطفى باشا ياملكي مع سمكو،

وفيها جواب من سمكو لاحدى الاسئلة التي وجهها له مصطفى باشا بخصوص اغتياله المارشمعون، حيث يقول سمكو:

«لايخفى عليكم بانه اثناء الحرب العالمية الاولى وقعت مشاكل بين الترك والارمن في كوردستان الشمالية، وادعى الاثوريون بانهم ضحايا الترك، بذلك وقفوا مع الارمن اثناء المعارك بين الطرفين وبعد الثورة الروسية انسحبت قوات روسيا القيصرية من كوردستان ولكن قبل مغادرتهم سابلاغ واورمية سلموا قدراً كبيراً من الاسلحة والعتاد الحربي بما فيها الرشاش الكبير والبنادق للاثوريين، وفي هذه الظروف كانت هناك خطة اشترك فيها بعض الضباط الروس وشخصيات اثورية وبعض المسؤولين من الدول الاوربية ترمي الى اسقاط السلطة المركزية في ايران وذلك للسيطرة على اذربيجان، (علماً ان سمكو كان السلطة الوحيدة والزعيم بلا منازع لاذربيجان الغربية قبل الحرب العالمية الاولى- الباحث) وبما ان كوردستان منطقة محاذية مهمة يسكنها الكورد الذين هم جيران الاثوريين منذ القدم فاقتضت الخطة كسب ود الكورد مؤقتاً.

واستناداً الى هذه الخطة ففي حالة السيطرة على ايران واذربيجان فان الاجواء ستكون مهيئة لاعلان الدولة الاثورية المستقلة في ولايتي بدليس وهكاري، لذلك حاول الاثوريون بمختلف السبل اخفاء هذه النوايا واظهار مشاعر الود تجاه الكورد بصورة عامة وعشيرة شكاك بصورة خاصة لكونها عشيرة قوية وذات نفوذ في المنطقة. وفي احد الايام جاء مارشمعون ومعه خيالة من الاثوريين والارمن لزيارتي، وقد افصح مارشمعون وبكل وضوح عن نيته بالهجوم على آذربيجان بدعم الكورد وطلب مني دعمه لهذا المشروع، وعندما عرف الايرانيون بذلك طلبوا مني عدم مساعدة الاثوريين، ووعدوني برد الجميل عند ذلك ولاسباب عديدة استقر بي الرأي على قتل مارشمعون الذي كان يخطط من وراء ظهورنا للسيطرة على كوردستان الشمالية، وفي الوقت المحدد قمت بقتله وبذلك وضعت حداً لطموحاته السياسية»[١٠٠].

وهكذا من خلال الجواب الصريح لسمكو نحصل على الجواب الشافي لسؤالنا ونعرف بانه لم يغتال مارشمعون لكونه سفاحاً او متعصباً او مرتشياً، حيث ان قراره للتخلص منه كان قراراً واقعياً املته الظروف الذاتية والموضوعية عليه، وكان نابعاً من الحكمة التي يذكرها لنا الشيرازي في كتابه القيم (گلستان) وهي «لايجتمع ملكان في اقليم واحد»، لان اهداف سمكو القومية والسياسية كانت تتناقض كلياً مع

اهداف وتطلعات الاثورين وانه كان يعتبر تلك التطلعات خطراً كبيراً عليه وعلى اهدافه وكما يقول تمدن، «ومما يعرف عن اسماعيل اغا انه كان مثقفاً ومطلعاً على اوضاع المنطقة السياسية والعسكرية بشكل جيد...، وانه اغتال مارشمعون اعتقاداً وادراكاً منه ان بفقدانه يفقد المسيحيون الاثوريون وحدة قيادتهم، وبالتالي صفوفهم وقوتهم في آذربيجان الغربية»[١٠١]. ويعلق السجادي في معرض حديثه عن الحادث «لقد تمكن سمكو باغتياله لمارشمعون مفاجأة الدول الاجنبية في المنطقة وافشال تكتيكهم المتمثل بالاعتماد على الاثوريين، وانه انقذ جزءاً كبيراً من كوردستان كادت ان تتحول الى كيان آثوري مدعوم من الدول المسيحية الاستعمارية»[١٠٢].

ثم ان سوء العلاقات بين الجانبين الكوردي- الاثوري وفتورها الشديد بسبب الحرب الاهلية وحوادث الانتقام وانعدام الثقة بين القيادتين ساعدت على تخمر فكرة الاغتيال لدى سمكو وخصوصاً ان الاسلوب الذي تم فيه اغتيال مارشمعون لم يكن غريباً الى ادنى حد على المنطقة، لان اعمالاً من مثيلاتها كانت تقترف وفقاً لنهج التقاليد العشائرية التي تبيح الثأر[١٠٣].

مهما يكن فقد ادى اغتيال سمكو لمارشمعون الى احداث ارتباك وتخلخل وضعف شديد في تنظيم وترابط وقيادة القوات الاثورية اذ لم يعد بمقدورها الصمود والمواجهة والوقوف بوجه القوات العثمانية الزاحفة على اذربيجان مجدداً، وخصوصاً ان الحكومة البريطانية وقواتها المتواجدة في ايران لم تكن باستطاعتها ارسال وتقديم اية مساعدة للاثوريين، هؤلاء الذين تركوا وحيدين مرة اخرى في الساحة لمواجهة خصومهم التقليديين وبذلك خذلت القيادة الاثورية مرة اخرى باعتمادها على دولة اجنبية اوربية عظمى لتحقيق اهدافها القومية، كما اجبرت هذه القيادة على سحب اخر ورقة لها انذاك والتي كانت تتمثل باتخاذها قرار خروج جميع الاثوريين من المنطقة ونزوحهم باتجاه همدان ملحقين بهم اضراراً وخسائر بالغة[١٠٤] ولم تؤد هذه النكسة الاليمة بالقيادة الاثورية الى اتخاذ موقف واقعي وسليم لتحقيق تطلعاتها مما ادى بان يبدأ فصل جديد من استغلال الاثوريين والمشكلة الاثورية من قبل بريطانيا الاستعمارية في مناورتها وتكتيكاتها السياسية في المنطقة وذلك بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة، اما فيما يخص سمكو فانه بعد تخلصه من الخطر الاثوري استطاع ان يحافظ على توازنه حتى ترك الاتراك المنطقة نتيجة هزيمتهم في الحرب وعندما اصبح سمكو زعيماً بلا منازع والقوة الوحيدة المسيطرة على الاوضاع في المناطق الغربية لبحيرة اورمية وبدأ يعمل في سبيل اقامة دولة كوردستان المستقلة[١٠٥].

المصادر والمراجع

* للمزيد راجع: الاشوريين والتسميات المتعددة، كانون الثاني ١٩٩٢، قسم الثقافة والاعلام للحركة الديمقراطية الاشورية.

* يقول المؤرخ الايراني «دهقان» بان الاثوريين ظهروا في منطقة اورمية الايرانية حوالي (١١١-١٢٨٩)م. راجع:

دهقان علي، رضائية ياسرزمين زردشت چاپ اول، تهران، انتشارات ابن سينا، ١٩٣٨ش، چاپخانەی مشعل آزادي، ص٧٠.

* ايرم شپيرا. نموذج في تزييف تاريخ الاشوريين، لجم بيث نهرين- مجلة الجزء الاول والجزء الثاني، المجلد الرابع- العدد الاول والثاني، حزيران وتموز١٩٦٦.

١- كرزن جورج.ن.، ايران وقضية ايران ترجمة غ. وحيد مازندراني، جلد اول چاب دوم، تهران، مركز انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٦٢ ش، ص٦٣٨؛ سوسه، د. احمد، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق،مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص٦٩-٧١.

* للمزيد من المعلومات انظر رو. جورج، العراق القديم، ترجمةوتعليق حسين علوان حسين مراجعة د. فاضل عبدالواحد علي، ص٢٠٣-٢١٢.

٢- بارمتي قسطنطين بتروفيج، الاشوريون والمسألة الاشورية في العصر الحديث، ترجمة ح.د.أ، ١٩٨٩، ص١٥-١٩٠، دهقان، المصدر السابق ص٧٠.

٣- الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، دارالكتاب المقدس في الشرق الاوسط، ١٩٩٢، الباب الثالث، النشيد ١٨.

٤- دياكونوف أ.م. تاريخ ماد، ترجمة كريم كشاورز، تهران، ١٣٤٥ش، ص٣٨٣-٣٨٤.

* نسبة الى نسطوريوس المرعشي الذي رفض المذهب الرسمي للدولة البيزنطية واقر بوجود طبيعتين للسيد المسيح الاولى انسانية والثانية الهية، حيث دخل نسطوريوس في صراع مرير مع خصومه المونوفيزيت (اليعاقبة) الذين وضعوا المسيح في مرتبة الاله راجع:

كريستنسن، آرثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٧٧.

٥- امين صالح محمد، كورد وعەجەم ميژووی سياسی كوردەكانی ئيران، چاپی يەكەم، ١٩٩٢ ل٢٧٧.

٦- كسروي، احمد، تاريخ تاريخ هيجدەساله آذربيجان، چاپ ششم تهران، انتشارات امير الكبير ١٣٥٣ش،ص٦١٩.

٧- دهقان، المصدر السابق، ص٦٩.

٨- نيكتين، باسل، ايران كەمن شناختەم، ترجمة، علي محمد فرەوشی، چاپ دوم تهران،

٢٥٣٦پ، ص١٩٩.

٩- كرزن، المصدر السابق، ص٦٩٣.

١٠- بارمتي، المصدر السابق، ص٤٧-٥١.

١١- ئەسەرد. فەريد ديديكى هاوچەرخ بو مەسەلەى ئاشوورييەكان، سياسەتى دەولى گوڤار ژمارە١، سالى سييەم نيسانى ١٩٩٤، ل١٢.

١٢- بارمتي المصدر السابق، ص٥٠-٥١.

١٣- المصدر نفسه، ص٥٢-٥٤.

١٤- Kinnane. D,The Kurds and Kurdistan, London, 1946, P46.

١٥- راجع:

بدليسي، شرفخان شرفنامه، وەرگيرانى هەژار كورى زانيارى كورد، ١٩٧٢، ل ٢٤٠-٢٤٢، ٧١٧-٧١٨، بارمتي، المصدر السابق، ص٤٣.

١٦- عبدالبخيت، د. نوري، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الخليج العربي- مجلة العدد٦، البصرة ١٩٧٩.

١٧- خالفين، ن.أ، الصراع على كوردستان المسألة الكوردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة د. احمد عثمان ابو بكر، بغداد، ١٩٦٩، ص٣١.

١٨- لازايف، م س، كيشەى كورد (١٨٧٦-١٩١٧) وەرگيرانى د. كاوس قەفتان، بەشى يەكەم بەغداد، ١٩٨٩، ل٧٣-٧٦.

١٩- بارمتي، المصدر السابق، ص٦٧.

٢٠- جليل، د. جليلي، نهضة الاكراد الثقافية والقومية، ترجمة باقي نازي، ود. لاتو دار الكاتب، بيروت، ص١٢٧.

٢١- راجع: حسين سعدي عثمان. كوردستان والامبراطورية العثمانية، دراسة في تطورها السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة صلاح الدين، كلية الاداب، ١٩٩٥، ص١٤٩.

٢٢- لازايف، المصدر السابق، ص١٣.

٢٣- المصدر نفسه، ص ٧٨.

٢٤- ئەسەرد، المصدر السابق، ص١٣.

٢٥- بارمتي، المصدر السابق، ص٧٨.

٢٦- امين، المصدر السابق، ص٢٧٨.

٢٧- دهقان،المصدر السابق، ص٤٧٤.

٢٨- للمزيد: احمد، د. ابراهيم خليل...، ايران وتركيا، دراسة في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة الموصل، ١٩٩٢.

٢٩- تمدن، محمد، اوضاع ايران درجنگ اول جهان يا تاريخ رضائية، تهران، انتشارات كتاب فروشي اسلامية، ١٣٥ش، ص٢٠٤.
٣٠- ابو بكر، د. احمد عثمان، كوردستان في عهد الاسلام، الثقافة - مجلة ، القسم السابع، العدد٦، حزيران ١٩٨٠، ص٧٦.
٣١- امين، المصدر السابق،، ص٢٦٧.
* راجع:
شيخ الاسلامي، محمد جواد سيماي احمد شاه قاجار، چاپ اول تهران، ١٣٦٨ش، ص٤٢٢- ٤٢٤، ابو بكر، د. احمد عثمان كوردستان في معاهدة سايكس بيكو- سازانوف- پاليوگ شمس كوردستان- مجلة العدد٩، مايس ١٩٧٢.
٣٢- ويگرام، دبليواي... مهد البشرية في شرق كوردستان، ت. جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١ ص ٣٢٧.
٣٣- ئتسترد، المصدر السابق، ص١٣.
٣٤- تمدن، المصدر السابق، ص١٦٢.
٣٥-بارمتي، المصدر السابق، ص٧٨.
٣٦- يقول دهقان بان اعلان الجهاد من قبل الدولة العثمانية اثر كثيرا على شعور المسلمين في المنطقة بما فيهم الكورد، حيث يذكر اسماء عدد من رؤساء القبائل الكوردية الذين شاركوا بجانب الجيش العثماني ضد الروس، الا انه لا يذكر اسم سمكو اغا زعيم عشيرة الشكاك ويعلق برونسن على ذلك: «اتخذ سمكو جانب التريث والحياد ولم ينحاز الى العثمانيين رغم فتور علاقته مع الاثوريين الذين حملوا السلاح بجانب الروس ضد الدولة العثمانية، لان سمكو كان يسهل عليه اتباع هذا الخط المحايد لتبقي الابواب جميعها مفتوحة امامه» انظر: دهقان، المصدر السابق، ص٥١؛ برونسن مارتن ڤان، ايران والعشائر الكوردية ثورة سمكو، ترجمة سعيد يحيى، مجلة كاروان- العدد (٦٤)، مايس ١٩٨٨، ص١٤٩.
٣٧- بارمتي، المصدر السابق، ص٩٥.
٣٨- المصدر السابق، ص٩٥.
٣٩- ويگرام، المصدر السابق، ص٣٣٦.
٤٠- دهقان، المصدر السابق، ص٤٧٤.
٤١- بارمتي، المصدر السابق، ص٩٦.
٤٢- تمدن، المصدر السابق، ص١٨١.
٤٣- متي، دانيال رويدادهاي اورمية وكوردستان شمالي دسامبر ١٩١٧ تاژوينة ١٩١٨ در ارشيوهاي نظامي فرانسه، مطلعات كوردي- مجلة، باريس، مركز تحقيقات انستيوت كورد، شماره ٢١ دي ١٣٦٢ش ص٤٩.

٤٤- بارمتي، المصدر السابق، ص١٠١-١٠٢.
٤٥- موريس، هارڤي، وبلوج جون، لااصدقاء سوى الجبال، ترجمة، راج ال محمد، مراجعة وتقديم هادي العلوي ١٩٩٦ ص١٨٤.
٤٦- المصدر السابق، ص١٨٤.
٤٧- دهقان، المصدر السابق، ص٤٧٤-٤٨٩.
٤٨- بدأت الحرب الاهلية بين الاثورين واهالي اورمية المسلمين من ٢٢ شباط ١٩١٨ الى (١) آب ١٩١٨م انظر دهقان المصدر نفسه ص٥٣٩.
٤٩- ويگرام، المصدر السابق، ص٣٣٨ تمدن، المصدر السابق، ص١٨٧.
٥٠- تمدن، المصدر السابق، ص١٨٧؛ متي، المصدر السابق، صص٤٩؛ كسروي، المصدر السابق، ص٧٢٥، دهقان، المصدر السابق، ص٥١١.
٥١- موريس المصدر السابق، ص١٨٥.
٥٢- تمدن، المصدر السابق، ص١٨٧.
٥٣- كسروي، المصدر السابق، ص٧٢٧.
٥٤- بارمتي، المصدر السابق، ص١٠٥.
٥٥- المصدر نفسه، ص١٠٥-١٠٦.
٥٦- تمدن، المصدر السابق، ص١٨٧.
٥٧- كسروي، المصدر السابق، ص٧٢٧.
٥٨- دهقان، المصدر السابق، ص٥١٣.
٥٩- شيفته، د.نصرالله سقمرد عجيب با مقدمه، محمد مسعود، چاپ دوم، ١٣٦٣ شص١٣.
٦٠- علي د.عثمان، سمكو ثعلب السياسة الكوردية ورائدها في البرغماتية، ئالاي ئيسلام مجلة، العدد١، كانون الثاني- شباط ١٩٩٣، ص٣١.
٦١- ويگرام، المصدر السابق، ص٣٣٩.
٦٢- موريس، المصدر السابق، ص١٨٥.
٦٣- Eafleton, W.Gr, The Kurds Requblic of 1946, London, 1963, P10
٦٤- متي، المصدر السابق، ص٤٩.
٦٥- احمد، د. كمال مظهر، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، الطبعة، بغداد، ١٩٨٤، ص٢١٠.
٦٦- نەبەز، د. جمال، كوردستان وشورشەكەی، وەرگێرانی كورد وبنكەی چاپەمەنی ئازاد، سوید، ١٩٨٥، ل١٢٥.
٦٧- یوسف، عبدالرقیب، بانگەوازێک بو روناكبیرانی كورد، سلێمانی كورد، سلێمانی، چاپخانەی كامەرانی، ١٩٨٥، ل٤٧.

٦٨- قاسملو، د. عبدالرحمن، كوردستان، لێكولینەوەیەكی سیاسی ئابوری، د. سعید وەرگێرانی عبدالله حسن زادە، ١٩٧٣،ص٨٦.

٦٩- شرفكندي، د. سعيد بدل تاريجچه جنبشهاي ملى كرد ازقرن نوزدهم تا پايان جنگ جهاني دوم، انتشارات وتبليغات كميتهء مركزي (حدكا)، آيات ١٣٥٧ش، ص٦٥.

٧٠- الطالباني، جلال، كوردستان والحركة القومية الكوردية، الطبعة الثانية،بيروت ١٩٧١، ص٤٥.

٧١- المصدر نفسه، ص٥٤.

٧٢- زەند، كريم، كوردستان المجزأة، بحث غميس، ص١٤.

٧٣- الغلامي، عبدالمنعم، ثورتنا في شمال العراق، الجزء الاول، بغداد، مطبعة شفيق، بلا، ص٨٥.

٧٤- شەمزینی، د. عزیز، جولانەوەی رزگاری نیشتمانی كوردستان، چاپخانەی شەهید ابراهیم عەزو، ل ١٠٦.

٧٥- هاملتون. اي. أم، طريق في كوردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، بغدد مطبعة دار الجاحظ، ١٩٧٣، ص١٢٧.

٧٦- تمدن، المصدر السابق، ص٣٧٤.

٧٧- Hassan Arfa, The Kurds And Historical study, London. 1956, P60.

٧٨- سجادی، علاء الدين ، شورەشەكانی كورد وكورد كوماری عیراق، بەغداد، ١٩٥٩، ل ٢٤٨ك.
فندی، عبدالكريم، بزاڤيد سمكو خانێ شكاك، روشنبیری- گوڤار، ژمارە ١٤٤، حزەیرانی١٩٨٧، ص٩٥.

٧٩- حلمی رفیق، یادداشت، بەرگی یەكەم، ئەمیندارێتی گشتی روشنبیری ولاوان بەشی سێ هەم، ئامادەكرن و لێكولینەوە وپیاچونەوەی پاكزە رەفیق حلمی، بغداد، دار الحرية، ١٩٩٢، ل٢٠-٢١.

٨٠- قزاز، رمزی، بزوتنەوی سیاسی روشنبیری كورد لە كوتایی چەرخی نوزدەهەمەوە تا ناوە راستی چەرخی بیست، سلێمانی، چاپخانەی ژین، ١٩٧١، ل ١٥٧-١٥٨.

٨١- في اواخر سنوات الحرب العالمية الاولى نصب الروس سمكو حاكماً على مدينة (خوي) في اذربيجان الغربية واعطوه مشاهرة تبلغ (٥٠٠٠) خمسة الاف روبل ذهبي، انظر:
لازاريف، المصدر السابق، ص٢٨٧-٦٢٥.

٨٢- افشار، ايرج، نگاهي بة اذربيجان عربي، جلد اول چاب، تهران، ١٣٦٩ش، ص٥٨٧.

٨٣- علي، المصدر السابق، ص٣٦.

٨٤- افشار،المصدر السابق، ص٥٩١.

٨٥- سجادي، المصدر السابق، ص٢٦١.

٨٦- ابو بكر، د.احمد عثمان، كوردستان في عهد السلام، الثقافية، العدد ٨-٩، آب- ايلول، ١٩٨٢، ص٣٧-٣٩.

٨٧- علي، المصدر السابق، ص ٣٤.

٨٨- الحاج، د. عزيز ،القضية الكوردية في العشرينات، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٥، ص١٧٤.

٨٩- احمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٥٢.

٩٠- علي، المصدر السابق، ص٣٦، انظر كذلك رأي (هژار) في ذلك في كتاب:

بايزيدي، محمود افندي، آداب ورسوم كردان، بسعى واهتمام شرق شناس مشهور روس الكسندر ژابا، با نظريات ومقدمة ومؤخرة استاد عبدالرحمن شرفكندي (هژار)، ترجمة وتعليق وضمائم از: عزيز محمد پور، ص١٠٤.

٩١- البارزاني، مسعود، البارزاني والحركة التحررية الكوردية، انتفاضة بارزان الاولى (١٩٣١-١٩٣٢) مطبعة خبات، ١٩٨٦، ص٢٠، لازاريف، المصدر السابق، ص٣٤١-٣٤٢.

٩٢- احمد، كوردستان في سنوات الحب العالمية الاولى، ص١٠٠.

٩٣- المصدر نفسه، ص ١٠١.

٩٤- كسروي، المصدر السابق، ص٨٣.

٩٥- Thoes Bois, The Kurds, translat dy:ph. M-W.M Welland, Beirut, 1966,P146.

٩٦- برونسن، المصدر نفسه، ص١٤٥.

٩٧- بيل، مس، فصول في تاريخ العراق القريب، ترجمة د. جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧١، ص٢١٣.

٩٨- المصدر نفسه، ص٢١٦.

٩٩- حمدي، د.وليد، الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية، دراسة تاريخية وثائقية بيروت، ١٩٩٢، ص٣٩٣.

١٠٠- گرمياني، د.آزاد ومصطفى باشا ياملكي في لقاء تاريخي مع سمكو، لاي ئيسلام مجلة، السنة العاشرة، العدد الثاني، تموز، انظر ترجمة الوثيقة باللغة الكوردية عند: امين، المصدر نفسه، ص٣٣٨-٣٣٩.

١٠١- تمدن، المصدر السابق، ص١٨٧.

١٠٢- سجادي، المصدر السابق، ص٢٢٥.

١٠٣- Kinnane,Op, cit, P47.

١٠٤- كسروي، المصدر السابق، ص٨٢٩.

١٠٥- للمزيد راجع:

امين،المصدر السابق، ص، ٣٢١-٣٩٧.

تعقيب على بحث
صفحات من تاريخ الثوري كوردستان

عملاء بحرية ابداء الرأي، ارتأت هيئة تحرير مجلة متين نشر التعقيب الذي وردها من مجموعة من طلبة جامعة دهوك، على البحث الذي نشره السيد ياسين سردشتي، كما ونشرت تعقيبه على تعقيب المجموعة

مجموعة من الطلبة الاشوريين في جامعة دهوك
اميـر ايـو /كلية الطب
اكرم صبوي /كلية الاداب
سالم عوديشو / كلية الاداب

طالعنا في العددين ٦٥- ٦٦ من مجلة «متين» الغراء مقال الاستاذ ياسين خالد حسن سردشتي، مدرس التاريخ الحديث المساعد في كلية الاداب/ جامعة دهوك، الموسوم بـ «صفحات من تاريخ آثوري كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى...». وقد وجدنا في هذا المقال مغالطات تاريخية كثيرة حاولنا في هذا التعقيب توضيح قسم منها، آملين نشره، عملاً بحرية النشر والاستماع الى الرأي الاخر الذي هو مبدأ معمول به في مجلتكم. مع تمنياتنا بالتوفيق للجميع.

ان الباحث في تاريخ الاشوريين* يواجه صعوبات كثيرة خلال دراسته نتيجة تداخل العناصر القومية والدينية والحضارية المحددة لهويتهم القومية، وبالتالي انعكس ذلك في معظم الدراسات والكتب التي زيفت تاريخ الاشوريين لامحاء وجودهم القومي واستئصال جذورهم التاريخية من ارض آبائهم واجدادهم ومن ثم تهميش دورهم في احداث المنطقة.

ان عدم معرفة الباحث لاصل الاشوريين وجذورهم التاريخية وفترة ظهورهم في هذه المنطقة واسباب وكيفية تشتتهم في الجبال- كما يدعي - هو بسبب اعتماده في الكثير من النقاط على المصادر التي حاول كتابها تزييف وتشويه وقائع وحقائق تاريخ الاشوريين، وخاصة المصادر الفارسية، حيث انه من المعروف ان الفرس كانوا من الد اعداء الاشوريين والكورد. وقد ذكر الباحث مجموعة من الاراء لا اساس لها من الصحة، ونحن هنا لسنا بصدد دحض هذه الاراء كلا على حده لانها اساساً لاتستند الى واقع تاريخي -بغض النظر فيما اذا كانت اشارته الى هذه الاراء هو لغرض

مقصود ام لجهله الحقيقة- الا ان الرأي الصحيح والمستندالى الحقائق التاريخية والمكتشفات الاثرية والذي يقر به كل باحث نزيه مطلع على تاريخ الحضارة في بلاد الرافدين، هو ان الاثوريين هم امتداد الاشوريين الذين اسسوا لهم اعظم امبراطورية عرفها الشرق القديم. وان الدليل الذي يتخذه الباحث لتشويه هذا الرأي هو ادعاؤه بان القوات الميدية- البابلية المتحالفة قد ابادت الاشوريين بعد سقوط نينوى، ولكن ادنى اطلاع على تاريخ المنطقة القديم يبين ان هناك آلاف الدلائل على ان الاشوريين لم ينقرضوا، لانهم لم يغادروا الارض التي عاشوا عليها وصمدوا امام محاولات التغريب والتيارات التي حاولت فرض الشعوب الوافدة على المنطقة، حيث ان هناك الكثير من المكتشفات الاثرية والمنحوتات تعود الى الفترة التي تلت سقوط نينوى ويرد فيها ذكر للاشوريين[١]، فقد بقي الاشوريون بعد سقوط نينوى حتى ميلاد السيد المسيح (ع) يسجدون لالهتهم ويمارسون عاداتهم نفسها[٢]، وعندما ظهرت المسيحية كان الاشوريون من اوائل الشعوب التي اعتنقوها وتمسكوا بها تمسكاً كبيراً وحملوا رسالتها الى الشرق واعطوا في سبيلها آلاف الشهداء، وكان القرن الخامس الميلادي بداية ظهور الانقسامات في الكنيسة حيث اخذت هذه الانقسامات تزداد بفعل الارساليات التبشيرية التي جعلت الاشوريين امة متكونة من طوائف مذهبية متعددة، وان الاختلاف الذي يذكره الباحث بين الطوائف والمذاهب المختلفة للاشوريين غير موجود، حيث ان آثوريي هكاري واورمية وكلدانيي عنكاوه- كما يسميهم الباحث - لايختلفون الا في انتماءاتهم الكنسية حيث انهم يشتركون في انتمائهم القومي ولغتهم التي كانت اللغة الرسمية للامبراطورية الاشورية مع انه طرأت عليها اختلافات طفيفة نتيجة تأثرها بالظروف المحيطة بالشعب الاشوري منذ القدم، وهذا شيء طبيعي في جميع لغات العالم، اما من حيث العادات والتقاليد فليس هناك اي اختلاف بينهم حيث ان الاشوريين بجميع طوائفهم مازالوا يحتفظون ببعض العادات والتقاليد التي كانت تمارس في عهد الامبراطورية الاشورية مثل صوم نينوى وعيد رأس السنة الاشورية وغيرها كثيرة، هذا من جانب ومن جانب آخر فان زعماء وقادة ومفكري الحركة القومية الاشورية في العصر الحديث كانوا من مختلف الطوائف والمذاهب الدينية امثال الجنرال اغا بطرس والمطران توما اودو كانوا كلداناً ونعوم فائق وبرصوم بيرلي واشور يوسف كانوا سريانا واخرون من الطوائف الاشورية الاخرى كالمارونيين والنساطرة واليعاقبة.

اننا نتفق مع الباحث في عدم وجود احصائيات دقيقة ومستقلة بخصوص تعداد الاشوريين، لعدم وجود تعداد رسمي في البلدان التي يقطنها الاشوريون، وذلك لكون

هذه البلدان تقلل من تعداد مواطنيها المسيحيين، وباي حال من الاحوال فان الاحصائيات التي ذكرها الباحث لاتستند الى الواقع المعقول، فقد كان تعداد جيوش الاشوريين في منطقة هكاري في بداية هذا القرن والتي كانت تحت امرة بنيامين مار شمعون فقط ثمانون الف مقاتل[٣]، فكيف يعقل ان يكون تعداد الاشوريين بعوائلهم جميعاً (٣٠-٢٠٠) الف، علماً ان اشوريي هكاري لم يشكلوا نسبة الربع من مجموع الاشوريين في اي فترة من فترات التاريخ. ان الخطأ الكبير الذي وقع فيه الباحث بخصوص التعداد يرجع الى اعتماده الكلي على المصادر التي تربط تاريخ الاشوريين بالنساطرة، وهنا سنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الاحصائيات، حيث يذكر المؤرخ افريانوف بان تعداد الاشوريين ضمن حدودالدولة التركية فقط يبلغ ٧٥٠ الف شخص[٤]، اما البرفيسور لالايان الذي زار منطقة هكاري واورمية في بداية القرن العشرين فيقدر تعداد الاشوريين في تركيا وايران بـ(٩٤١) الف انسان[٥]، واخيراً فان المؤرخ پيرا سرمس يقدر تعداد الاشوريين في بداية القرن العشرين بمليون وعشرين الف موزعين على تركيا وايران وروسيا ودول اوربا[٦].

اما قول الباحث عن فقدان الاشوريين اهم عنصر من عناصر قوميتهم الا وهي الارض ومحاولته تهميش دورهم في اتجاه سير احداث المنطقة وانعدام اي بادرة باتجاه اتخاذهم لوطن بديل عن وطنهم المفقود، فهناك ادلة تثبت عدم صحة ما يقوله حيث كان للاثوريون على مر التاريخ وبعد سقوط امبراطوريتهم كيانات سياسية وامارات مستقلة نوعاً ما مثل مسبيلا واورهي ونصيبين.. وغيرها[٧]، هذا من جانب ومن جانب آخر فانه بعد انقضاء سنوات على سقوط امبراطوريتهم فقد بدأوا بالرجوع الى موطنهم التاريخي نينوى[٨]، كما ان الميديين منحوا الاشوريين نوعاً من الاستقلال الذاتي فدعوها اثور بينما دعاها الفرس اشورا الا ان الرومان عند احتلالهم بلاد ما بين النهرين اعادوا لها استقلالها واسمها الاصلي آشور[٩] كما قامت العديد من الانتفاضات في مستعمرات الآشوريين التي كانت تابعة للدولة الفارسية[١٠]، اما في العصر الحديث فقد كان للاشوريين دور كبير في احداث المنطقة حيث ناضلوا في الانتفاضة المعادية للاتراك والتي قادها يزدان شير من العائلة البدرخانية عام ١٨٥٤م، وكان عدد المشاركين فيها حوالي مئة الف شخص وشملت مناطق واسعة من وان الى الموصل[١١]، وكان للاشوريين دور كبير في الحرب العالمية الاولى حيث يقول ويگرام «لعب هؤلاء- اي الآشوريين- اهم دور في هذه الزاوية المنسية من المسرح- بل افضل دور واجدره بالتقدير[١٢]، وكذلك كان لهم دور كبير في ضم ولاية الموصل وحماية الحدود الشمالية لدولة العراق والاشتراك مع الكورد والعرب ضد الرجعية في

العراق، كما وقف الآشوريون في الاربعينات من هذا القرن الى جانب الاذربيجانيين الايرانيين.

اما عن موقف الآشوريين في الحرب العالمية الاولى بانحيازهم الى الحلفاء والذي يتخذه البعض كنقطة للتهجم عليهم ويصفوفهم بالخيانة متجاهلين الظروف الاستثنائية التي عاشها الآشوريون في الفترات الاخيرة من التاريخ بسبب التمييز العنصري والاضطهاد الذي مارسته بحقهم الانظمة التي حكمتهم، جعلتهم يسلكون اي سبيل يحررهم من القيود التي نصبت للقضاء على وجودهم القومي، حيث ان هدف الثورة التركية البرجوازية الديمقراطية التي قادها حزب تركيا الفتاة كان ابادة القوميات غير التركية[١٣]، وقد صرح انور باشا احد الحكام الثلاثة في تركيا قائلاً «انا غير ناوي فيما بعد على تحمل المسيحيين في تركيا» كما صرح وزير الداخلية التركي طلعت باشا في اكثر من مناسبة بان هدف السلطات التركية هو اتخاذ الحرب العالمية ذريعة للتخلص من الاعداء في الداخل وورد على لسانه حرفياً بان اولئك الاعداء هم المسيحيين في تركيا[١٤].

وفي شهر آب ١٩١٢ استدعت الحكومة التركية البطريرك بنيامين مارشمعون وطلبت منه الا يقف الى جانب روسيا ومقابل ذلك وعدته بفتح مدارس قومية للاشوريين وتم في اللقاء تقديم الهدايا له وعاد الى قوجانس دون ان يدلي برأيه حول الموضوع[١٥]، ولدى وصوله وزع تعليماته الى جميع الجهات ينصح الآشوريين فيها بوجوب التزامهم الهدوء وتنفيذهم اوامر السلطات التركية بدقة ومع التزامهم بتعليمات مارشمعون فان الاوساط الحاكمة في تركيا بدأت بتطبيق برنامج مدروس بدقة لابادة الآشوريين وطردهم من تركيا، وبلغت المذابح اوجها في قرى كوزي واتيش واوزان وبوردوك وباليس وباكرا خاتون وكلانيس، حيث كان مصير الرجال القتل، واخذ السكان المسالمين بترك قراهم بسرعة، وتركوا قطعانهم وكل ما يملكون والذين حاولوا الهرب قطعوا بحد السيف والقي القبض على ١٥ الف اثوري خلال عبورهم الحدود الى روسيا[١٦]، ولم يكن قتل الآشوريين واغتصابهم ونهب اموالهم امراً شرعياً فحسب، بل اعتبره البعض جهاداً في سبيل الله وعملا يكافيء عليه في الدنيا والاخرة.

ولهذا دعا مارشمعون الى اجتماع طاريء في قرية مارديز في منطقة يزدان وحضر الاجتماع جميع ممثلي العشائر الآشورية في تركيا، وفيها اعلن انتفاضة الشعب

الآشوري ضد تركيا الى جانب الحلفاء[١٧] وهكذا كانت هذه الانتفاضة امراً طبيعياً في مثل هذا الوضع الحرج من اجل حصولهم على الانقاذ والمساعدة من الدول المسيحية وخاصة روسيا بحكم قربها من المنطقة، وكان قرارهم هذا واقعياً املته الظروف الذاتية والموضوعية عليهم، حيث لم يبق لديهم اي مجال للاعتماد على تركيا وايران بعد ان اظهرت هاتان الدولتان عداوة كبيرة ضد المسيحيين عامة والآشوريين خاصة بعد اعلانهم حملة الجهاد ضدهم.

ان الآشوريين خلال تاريخهم الطويل وبعد اعتناق المسيحية وحتى الربع الاول من القرن التاسع عشر لم يتطلعوا الى اقامة كيان آشوري مستقل بل كانت اهدافهم هي الحصول على المساواة والعيش بسلام مع شعوب المنطقة ولكن نتيجة لما ذكرناه من المذابح والسياسات الشوفينية المتمثلة بسياسة التتريك وتأثرهم بالنهضة الاوربية عن طريق الارساليات التبشيرية، كل هذا ادى الى تحريك الشعور القومي لديهم واستنهاض هممهم من اجل المطالبة بحقهم في تقرير مصيرهم وتأسيس دولة اشورية مستقلة.

ان هدف الآشوريين من تأسيس دولتهم المستقلة لم يكن لتحقيق حق تقرير المصير للاشوريين فحسب، وانما كان سيضمن حصول جميع ابناء القوميات الاخرى على حقوقهم السياسية والثقافية واشتراكهم في الحكم، وهذا ما عبر عنه البند الثالث من البيان الذي اصدره الآشوريون تحت اسم «وحدة اتحاد اشور الحرة» والذي ينص «الممثلون القوميون في التجمع القومي العام سيتم انتخابهم بطريقة تصويت الشعب على تشكيلات سباعية الاعضاء بغض النظر عن المذهب والوضع الاجتماعي والمنشأ والقومية»[١٨]، كما ان اهداف هذه الدولة كانت تضمن الحرية والديمقراطية لكل ابناء القوميات وتضع الانسان وصيانة شرفه فوق اي اعتبار اخر، وهذا ما يؤكده البندان الخامس والتاسع من البيان، البند الخامس: الحرية الكاملة للكلمة والطباعة والاجتماعات والاتحادات بشرط الا تلحق الاذى بشرف الانسان ، البند التاسع: تستطيع شعوب القوميات الاخرى القاطنة ضمن حدود اشور الحرة العيش بحرية ولكنهم يخضعون لمتطلبات قوانين البلد التي ستكون نافذة من خلال التجمع القومي العام[١٩]، ومن اجل تاسيس هذه الدولة عمد الآشوريون الى كسب ود الشعوب الاخرى في المنطقة كالكورد واليزيديين والارمن حيث عقدت عدة اتفاقيات بين الآشوريين وبينهم، نذكر على سبيل المثال حلف مارشمعون مع همبارتسونيان الارمني وكذلك حلفه مع سمكو الشكاك[٢٠]، وكذلك حلف اغا بطرس مع انترنيك باشا

الارمني[٢١]، وغيرها من الاتفاقيات . حيث كان الزعماء الآشوريون يؤمنون بان كل شعب مهما كان صغيراً له الحق بان ينال جميع حقوقه القومية على ارضه وان يشكل حكومته القومية.

ان الباحث يذكر بعض الحوادث ويتهجم من خلالها على الآشوريين ويجعلهم شعب متعطش للدماء وهنا سنكون بصدد اجابته على ما ذكره:

اولاً: انه يذكر على لسان ويگرام شعور ومخاوف اهالي شمال غرب ايران تجاه لجوء الآشوريين الى ايران، في حين انه لم يذكر ما كتبه ويگرام نقلاً عن الدكتور مكداويل طبيب المستشفى الامريكي في اورمية، حيث يقول «تصرف القادمون الجدد- اي الآشوريين- تصرفاً يفوق بمراحل ما كان يتصور منهم اي انسان بحدود المعقول»[٢٢]، وهكذا كان الواقع مخالفاً تماماً لما ذكره الباحث ويظهر هنا النهج الانتقائي السلبي المتبع لديه.

ثانياً: ان اغابطرس لم يكن محتالاً ولم يضم جيوشاً من المخربين والمتعطشين للدماء كما يقول الباحث بل كان يقود مقاتلين مسلحين يقاتلون من اجل حقوقهم القومية والتخلص من الظلم والاضطهاد والدفاع عن النفس[٢٣]. اما عن قول الباحث بان مارشمعون بدأ يفقد مكانته لصالح اغا بطرس فان هذا ليس صحيحاً لان مارشمعون كان القائد الديني والدنيوي الاعلى واغا بطرس كا احد القواد الذين كانوا تحت امرته.

ثالثاً: ان مارشمعون لم يعمد الى اشعال نار الفتنة كما يذكر الكاتب الايراني دهقان حيث انه اصدر اوامره بايقاف المذابح في اورمية[٢٤]. ان الباحث يتهجم اكثر من مرة على السلطة الثيوقراطية للبطريرك وبقائها بشكل وراثي في عائلة اشورية واحدة، الا انها وعلى الرغم من عدم موافقتها مع التعاليم المسيحية كانت الطريقة الوحيدة لسد الطريق على العناصر المشبوهة التي تعمل لصالح اعداء الامة الاشورية ومنعها من الوصول الى دفة الحكم وبالتالي يمكن الاشوريين من حماية وجودهم وكيانهم[٢٥]، والسلطة الدنيوية للبطريرك كان معترفاً بها من قبل الساسانيين والخلفاء المسلمين والملوك المغولبين وسلاطين العثمانيين.

لقد عاش الاشوريون والكورد معاً وتظافرت جهودهما في بث علاقات التآخي وحسن الجوارعلى مر العصور، كما انهم عانوا من الاضطهاد كثيراً وتعرضت قراهم الى التدمير والتخريب من قبل الغزاة الطامعين. وقد انتفضوا بنضالهم المشترك اكثر من مرة ضد مضطهديهم ومستعبديهم، كما ساهم كلاهما في دعم حركة التحرر

الوطنية من اجل نيل حقوقهم المشروعة. ولكن على الرغم من هذه العلاقات بين الشعبين وتزايد النضال المشترك فان تاريخهم لايخلو من صفحات سوداء نتيجة بذر بذور الشقاق بينهما من قبل الاستعمار والذي حرص على تنميتها بعض الافراد من ابناء الشعبين ارضاءً لمصالحهم الشخصية، وان فتح مثل هذه الصفحات وخاصة في اجواء التاخي التي نعيشها حالياً في كوردستان لاتخدم الا المتربصين للنيل من قضية الشعبين الاشوري والكوردي.

ان بنيامين مارشمعون كان انساناً حكيماً هادئاً محباً للسلام[٢٦] مؤمناً باهداف شعبه المتعطش للحرية والتخلص من الاضطهاد الذي كان يرزح تحته، وقد حاول باخلاص ان ينهض باعباء امته وكثيراً ما وضع في مأزق في سبيل محاولته لحماية شعبه من الاضطهاد، وخير مثال على ذلك تضحيته باخيه الذي كان طالباً في جامعة استنبول حيث احتجزته السلطات العثمانية كرهينة من اجل استفزاز مارشمعون وحمله على الاستسلام ولكن جوابه كان «لقد عهد الى امر امتي وهي كثيرة العدد، فكيف اخون الامانة في سبيل انقاذ شخص واحد وان كان هذا الشخص اخي»[٢٧]. اضافة الى هذه المواقف النزيهة تجاه امته كانت له مواقف مماثلة تجاه الكورد مما جعله يتمتع بمركز رفيع لديهم باعتباره الرئيس الاعلى المعترف به[٢٨]. وسمكو نفسه يقر بانه «الزعيم الديني الاعلى لكوردستان»[٢٩]، ومارشمعون كان ذا سلطة عظيمة ويقوم بحل العديد من الخلافات وحوادث القتل الحاصلة بين العوائل والعشائر المختلفة[٣٠]. ونستقي من هذه المواقف التي تبرز فيها مكانته السامية لدى الكورد وحبه للسلام حادثة يذكرها ويگرام» كان على مارشمعون اجراء مصالحة وحقن الدماء بين قبيلتين احداهما مسلمة والاخرى مسيحية، فقام باجراء التمهيدات الاولية بين زعيمي القبيلتين واخيراً تم الاتفاق على ان يتلقى بالمارشمعون عشرون وجيهاً من كل قبيلة وسط مجرى نهر معين حتى يبرم الصلح النهائي وتسوية كل نقاط الخلاف بمواجهة شخصية عامة بين الطرفين، وكان يعلم مسبقاً بان المندوبين الاربعين سيظهرون بكامل سلاحهم، الا انه لم يتوقع بان يأتي كل واحد منهم مصحوباً باربعة او خمسة من الاتباع المسلحين حتى لايؤخذ على حين غرة، ويقع ضحية خيانة مدبرة من الطرف الاخر، واضطر البطريرك قضاء يومه يروح ويغدو بين القريتين لترتيب التفاصيل النهائية» ان هذا الموقف الذي وصفه ويگرام بـ «ان دخول مستودع بارود دون وقاء وبيدك مشعل هو امر بسيط اذا ما قورن بهذا المؤتمر»[٣١] الا انه مع ذلك مر الموقف بسلام.

وكان البطريرك يتمتع باحترام وتقدير لدى الايرانيين والاتراك ايضاً، اذ كانوا يعتبرونه اميراً ويتحادثون معه بهذه المرتبة، فعندما تسلم العرش ادهش الرؤساء الكورد بتواضعه ومعرفته اللغةالكوردية، اما المعتمدون الدبلوماسيون والرحالة الاجانب فقد تكلموا عنه باطراء كقائد عظيم للشعب الاشوري[٣٢].

ومن الجدير بالذكر ان سمكو اغا زعيم الشكاك كان قد عقد اتفاقية تحالف مع مارشمعون والثوار الارمن وحلف بالقرآن ان يبقى اميناً للعهد المقطوع لحفائه[٣٣]. ولذلك فعندما ارسل سمكو اغا رسالة الى مارشمعون الذي كان آنذاك في مدينة سلامس مبادراً اياه باللقاء في كوهنة شهر التي كانت مقر اقامته انذاك، فقد بدا الطلب طبيعياً جداً، وذلك على اثر حلفه لدراسة الظروف الاستثنائية التي جرت بعد انسحاب روسيا فاتجه هو واخوه داود وقائد السرية دانييل والعقيد الروسي كونراتييف وجماعة من المقاتلين الى بيت سمكو في كوهنة شهر[٣٤]، واثناء الاجتماع تكلم مارشمعون عن رغبته في تطوير علاقاته مع الكورد واجاب سمكو بانه متفق مع ذلك تماماً[٣٥]، وبعد انتهاء الاجتماع رافق سمكو مارشمعون حتى بوابة الدار وقبل يده، وقبل ان تطأ قدمه عربة الخيل وجه سمكو مسدسه الى ظهر البطريرك واطلق النار عليه ثم اعقب فرسانه بالنار على فرسان مارشمعون[٣٦].

ان الباحث في تحليله لحادثة اغتيال مارشمعون يهدف الى تبرئة سمكو من فعلته وجعلها حادثة عادية، والشيء الغريب في بحثه هو انه في الوقت الذي يتهم المصادر الفارسية بالتحيز والازدواجية ويقلل من مكانتهم العلمية فهو يعتمد على هذه المصادر، هذا من جانب ومن جانب آخر فانه يفسر ماورد في بعض المصادر على هواه فذكر على سيبل المثال كلام العقيد كوندارتييف الذي قال «اصبحنا بالقرب من بيت سمكو في كوهنة شهر حيث كان على البطريرك اللقاء بسمكو» اما الباحث فيفسره بـ «مكان اللقاء الذي ذهب اليه سمكو قبل مارشمعون»[٣٧]، وهذا ما لم يكن يقصده العقيد الروسي من كلامه، ان ادعاء الباحث بان سمكو لم يكن في بيته عندما اغتال مارشمعون هو صحيح الى حد ما، لانه لم يكن في مقره الرئيسي في جهريق،الا ان كوهنة شهر كانت احدى القرى التابعة لسمكو وليس غريباً ان يكون له بيت فيها وهذا ما يظهر جلياً من كلام العقيد كوندارتييف المشار اليه اعلاه، علاوة على ذلك فان هناك بعض المصادر تقول بان سمكو ومارشمعون كانا باستضافة تيمور اغا[٣٨]، ومن المعروف ان تيمور اغا كان احد رجال سمكو والذي عينه عام ١٩٢١ حاكماً لاورمي[٣٩]، ومن المؤكد ان سمكو عين لاورمي مكافأة له على مساعدته في قتل

مارشمعون، ولايمكن اعتبار هذا العمل الذي صدر من سمكو تجاه تيمور اغا دليلاً على كونه بعيداً عن التعصب العشائري - كما يدعي الباحث.

ان مارشمعون لم يكن تحت تهديد اغا بطرس عندما ذهب للقاء سمكو وانما على العكس تماماً حيث ان اغا بطرس لم يكن راضياً من ذهابه وقال له قبل ذهابه للقاء سمكو «فداؤك سيدي اترك هذه الامور لنا ونحن خير من يقتدر منها، لك الصليب واترك السيف لنا، ان سمكو رجل ماكر ورعديد، دعه هو يأتي الينا...»[٤٠]، اضافة الى ذلك فان اغا بطرس كان احد القواد الذين كانوا تحت امرة مارشمعون، ولهذا لايعقل ان يكون البطريرك تحت تهديده، بل ان الاوامر كانت تصدر من مارشمعون اليه[٤١].

ان الباحث يصف الكتاب والموظفين البريطانيين بشكل خاص المؤلفات المسيحية الاجنبية بشكل عام بعدم موضوعيتها ويصف المصادر الفارسية بالتحيز والازدواجية ويصف الكتاب الكورد وبعض معاصري الاحداث بالسطحية وعدم معرفتهم جذور الاحداث والظروف الذاتية والموضوعية المرافقة للحادثة فاي نوع من المصادر ياترى يرضي ذوقه؟

ونورد هنا بعض ما ذكره الكتاب الكورد في ادانتهم لسمكو حيث كتب د. كمال مظهر ان التاريخ يدين سمكو على ما قام به، ولايمكن قطعاً الاتفاق مع بعض المؤلفين الكورد لايجاد مبررات غير منطقية لعمل سمكو فهي محاولات لاتتفق باي حال من الاحوال مع الاحداث التي رافقت من وجهة النظر التاريخية البحتة[٤٢]، اما الكاتب الكوردي علاء الدين سجادي فيقول «لەبەر ئەوە کە هەندێ کەس لە نوسەران وای پیشان ئەدەن کە سمکو بە هەلە دا چو مارشەمعونی کوشت ولە کوشتنەکەی زیانی بە کورد گەیاند»[٤٣]، اي معناه ان العديد من الكتاب الكورد قد توصلوا الى ان سمكو باغتياله لمارشمعون قد الحق ضرراً بالكورد. وبعد الاطلاع على مجمل الاحداث المرافقة لحادثة الاغتيال نستطيع ان نورد دوافع سمكو لاغتيال مارشمعون- وكما اشار اليها الباحث كالاتي:

اولاً: الدافع الخلقي والنفسي:
كان لسمكو سوابق كثيرة في حياته حيث يصفه لازاريف بانه كان مندفعاً ولا مبدأ له وغادراً وظالماً [٤٤] يقول سمكو مخاطباً بابكر اغا «اني اعرف بان سمعتي تتصف

بالخيانة والغدر في التعامل مع الحكومات»(٤٥)، في حين يصفه الحاكم السياسي البريطاني في مذكرة سرية الى المندوب السامي البريطاني «بانه لايمكن الاعتماد على وعوده»(٤٦) وهكذا فان نقض سمكو لحلفه مع مارشمعون كان شيئاً طبيعياً لديه لانها لم تكن المرة الاولى التي لايفي فيها بوعوده، حيث قتل مارشمعون من وراء ظهره ثم قام هو واعوانه بالتمثيل بجثة مارشمعون واصبحت جثته دون حرمة فبعدما اجلسوه على كرسي للسخرية بتروا اصبعه واخذوا منها الخاتم الذهبي(٤٧)، وهذا ما يتنافى مع ابسط قواعد الانسانية واحكام الشرائع السماوية والعرف العشائري التي تحرم القتل غدراً والتمثيل بجثة الانسان. ومن المعروف ان الاخ الاكبر لسمكو كان قد اغتيل من قبل الفرس بطريقة مماثلة الى حد كبير لطريقة اغتياله لمارشمعون، حيث ان الفرس كانوا قد دعوا اخاه الى وليمة عشاء بعد ان وعدوه بانه سيتم تنصيبه حاكماً على المنطقة الواقعة قرب بحيرة اورمية وقاموا باغتياله غدراً خلال تلك المأدبة(٤٨)، وكان لهذا تأثير نفسي على سمكو طبع نفسيته بطابع الغدر والخيانة.

ثانياً: الدافع المادي والتحريض من قبل الفرس:

ان المصادر تؤكد ان سمكو كان قد تلقى مكافأة مادية من قبل الفرس مقابل اغتياله لمارشمعون(٤٩)، وهذا ما اكدته الرسالة التي عثر عليها من قبل الجيوش الاشورية خلال ملاحقتهم سمكو للاخذ بالثأر، والتي استلمها سمكو من والي تبريز موختي شمس يحرضه فيها على قتل مارشمعون(٥٠)، واضافة الى ذلك فأنه يتبين لنا من خلال كلام له مع مصطفى باشا- والذي يورده الباحث - ان سمكو كان مدعوماً من قبل الفرس لاغتيال البطريرك حيث يقول «.... وعندما عرف الايرانيون بذلك طلبوا مني عدم مساعدة الاشوريين ووعدوني برد الجميل عند ذلك ولاسباب عديدة استقر بي الرأي على قتل مارشمعون»(٥١)، ومن هنا نستنتج ان سمكو كان على استعداد للعمل لصالح الذي يدفع له الاكثر، حيث انه كان قد تلقى في احدى المرات مبلغ خمسة الاف دولار لقاء تأمين سفر مبشر امريكي (٥٢)، وتصفه المس بيل سكرتيرة الدائرة الشرقية في رسالة الى المندوب السامي البريطاني في العراق بانه انتهازي ويركض وراء مصالحه من دون تبكيت من ضميره(٥٢).

ثالثاً: دافع التعصب العشائري:

يتبين لنا من خلال دراستنا لشخصية سمكو شكاك بانه كان انساناً متعصباً وليس كما يصوره الباحث بعيداً عن التعصب العشائري، حيث كان له دور كبير في فشل ثورة الشيخ محمود الاولى في كوردستان الجنوبية، فقد صرح سمكو قبل الثورة ان

الشيخ محمود اصبح قوياً اكثر مما ينبغي وكان يحسده باستمرار [٥٤]، كما اشترك سمكو مع الحكومة التركية في مذابح كثيرة ضد الاشوريين وخاصة في اورمي حيث احرقوا مئة قرية من قراهم وقتلوا عدداً كبيراً من اهاليها وشردوا من تبقى على قيد الحياة، كما كان له دور كبير في مجزرة سلامس والتي راح ضحيتها حوالي الف آشوري[٥٥] وهكذا فأنه لم يمتنع من استخدام اقسى الاساليب في تعامله مع الاشوريين[٥٦]، ان التعصب لم يكن صفة قاصرة على سمكو وانما ربى اولاده عليها حيث ان ابنه البكر كان اول من اعتدى على بيعة مار زيا في جيلو والتي كانت حرمتها مصانة على مر التاريخ، وكان قد قال بانه لن يستريح حتى يرى بأم عينه خراب كل بيعة في البلاد[٥٧]، كما ان تاريخ سمكو لايدل على انه رجل متدين او يقيم للدين وزناً بدليل تصرفاته المشينه التي تكررت طيلة حياته.

اما عن اوضاع القيادة الاشورية بعد مقتل مارشمعون فلم تكن مرتبكة ومتخلخلة كما يصورها الباحث، وانما ازداد حماسها للاخذ بثأر زعيمهم مارشمعون، حيث عندما وصل خبر الاغتيال الى زعماء الاشوريين جهزوا جيشاً بقيادة اغا بطرس وملك خوشابا وملك داود، وحاصروا كوهنة شهر حتى سقطت باديهم[٥٨]، الا ان سمكو تمكن من استبدال ثيابه ولاذ بالفرار بين النساء والاطفال الذين افسح الاشوريون المجال لهم بالهرب [٥٩]، ووصل سمكو الى قلعته جهريق التي حوصرت فيما بعد من قبل القوات الاشورية[٦٠]، واستولوا على حصنه الا انه فر ناجياً واخذ منذ ذلك الحين يحصد ثمار فعلته حتى من حلفاء ضحيته[٦١].

ان سمكو اغا اعتقد بان اغتياله لمارشمعون سيفقد الاشوريون قوتهم ووحدتهم، الا انه كان مخطئاً في اعتقاده، فقد بقي الاشوريون جبهة قوية امام اعدائهم وظلوا يصدون كل الهجمات في معركة تلو الاخرى[٦٢]. اما سمكو فانه بعد اغتياله لمارشمعون قد تدهورت علاقاته مع كل من روسيا وبريطانيا وضعف مركزه[٦٣]، وقد اغتيل بطريقة مشابهة لاغتياله لمارشمعون على يد حلفائه الفرس[٦٤].

المصادر والمراجع:

* ان الاستاذ ياسين في بحثه يستعمل كلمة الاثوريين والتي يقصد بها النساطرة، الا ان الحقيقة هي ان الاثوريين والاشوريين هما تسميتان لامة واحدة (الامة الاشورية) وان محاولته ربط تاريخ الاثوريين بتاريخ النساطرة لا اساس لها من الصحة، ولغرض تجاوز المذهبية والطائفية فاننا استخدمنا التسمية الجامعة المستندة الي الحقائق التاريخية (الاشورية) للدلالة على مختلف الطوائف الاشورية من كلدان ونساطرة وسريان ويعاقبة ومارونيين وغيرها.

١- لامجال هنا لذكر الدلائل والمكتشفات الاثرية والبحوثات التي تثبت بان الاشوريين لم يفنوا ولانها ليست موضوعنا الرئيسي للمزيد، راجع بارمتي، ك.، الاشوريون في الازمنة المعاصرة، ترجمة بنيامين م. بنامين، استراليا ١٩٨٤ ص٩-١٢/ملك، يوسف، الخيانة البريطانية للاشوريين، الطبعة الاولى، امريكا ١٩٣٥ ص١٤/ منشي، امير، تاريخ بلاد اشور، طهران، ١٩٦٢ باللغة السريانية ص ٢١٠-٢١٨.

٢- دياكونوف، ي تطور العلاقات الزراعية في بلاد اشور، لندن ١٩٤٩ ص١٢٦*.

٣- بارمتي، المصدر السابق، ص٦٢.

٤- افريانوف، ب. نظرة اثنوغرافية وعسكرية على الممتلكات الاسيوية للامبراطورية العثمانية ١٩١٢ص٢٢*.

٥- لالايان، أ. الاشوريون في ولاية وان. المجلد ٢٤، تبليسي ص٤.

٦- سرمس، بيرا تاريخ الادب الاشوري، المجلد الثالث، طهران، ١٩٧٠ ص١٧.

٧- مالك، يوسف، المصدر السابق، ١٥/لويد. س، النهران التوأم ص١٧.

٨-لورد. س، الرجوع نحو بلاد ما بين النهرين وفلسطين وسوريا، لندن ١٩٢٣ باللغة الانكليزية ص ١٧.

٩-مالك، ايشو خليل جوارو، الاشوريون في التاريخ، سليم واكيم، بيروت ١٩٦٢ ص ١٨٠.

١٠- بارمتي، المصدر السابق، ص١٠.

١١- احمد. د. كمال مظهر، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، بغداد ١٩٧٧ ص١٢٢.

١٢- ويكرام، دبليو: آي، مهد البشرية في شرق كوردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١، ص٣٢٤.

١٣- فير سيسيان، م. مذابح الارمن في الامبراطورية الاعثمانية. يرفان ١٩٦٦ ص٣٦٥.

١٤- المصدر نفسه ص ٢٥٧/ نيرار، نينوس، اغا بطرس سنحاريب القرن العشرين، ترجمة فاضل پولا، سان رياكو ١٩٩٦ ص٥٥.

١٥- ويگرام، المصدر السابق ص ٣٢٧.

١٦- بارمتي، المصدر السابق ص٦٤.

١٧- Suma, A.B. Mar Shimun Assyrian Customs and murder of Mar Shimun, London 1923, P. 83-84.

١٨- بارمتي، المصدر السابق ص١١٠.

١٩- المصدر نفسه.

٢٠- ويگرام، المصدر السابق ص٣٣٧-٣٣٨.

٢١- نيراري،المصدر السابق ص١٤٥.

٢٢- ويگرام، المصدر السابق ص٢٣٢.

٢٣- نيراري، المصدر السابق ص٢٧٢ . ١٢٨.

٢٤- بارمتي، المصدر السابق ص٨٦.

٢٥- ويگرام، المصدر السابق، ص ٣٣٧- ٣٣٨.

٢٦- تيرمن، ر. تريار، عن رحلة الى سنجق هكاري في ولاية وان ١٩٠٦، تيليسي ١٩١٠ ص٢١٢.*

٢٧- ملك يوسف المصدر السابق/ ويگرام المصدر السابق ص٢٣٠.

٢٨- ويگرام،المصدر السابق ص٣٥٣.

٢٩- المصدر نفسه ص ٣٣٨.

٣٠- تيرمن، المصدر السابق ص٤٢.

٣١- ويگرام، المصدر السابق ص٢٤٤.

٣٢- تيرمن، المصدر السابق ص٤٤.

٣٣- ويگرام، المصدر السابق ص٣٣٧-٣٣٨.

٣٤- بارمتي، المصدر السابق ص٨٧.

٣٥- Surma, OP.cit, P.98.

٣٦- بارمتي، المصدر السابق ص٨٧.

٣٧- المصدر نفسه.

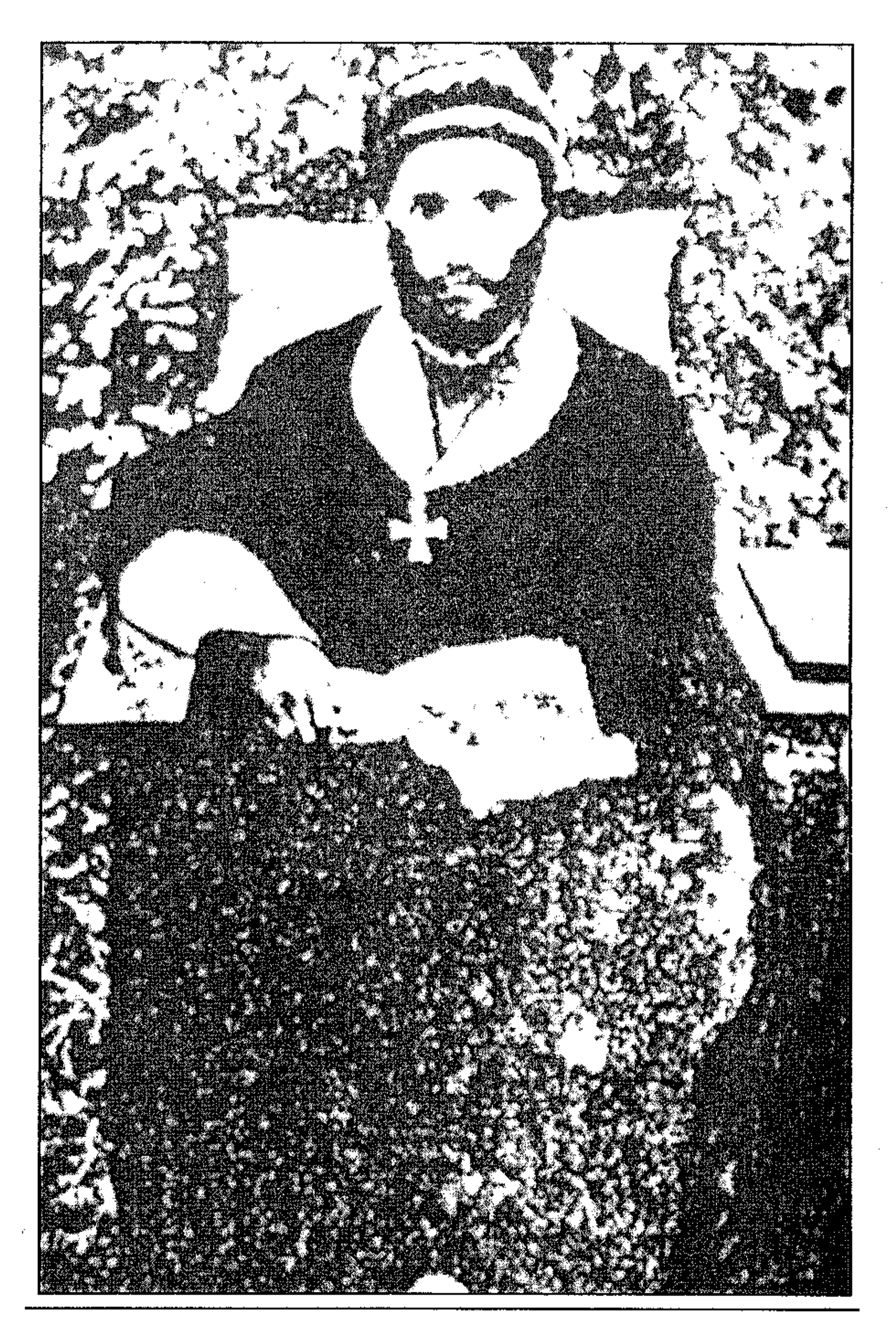
٣٨- سجادى، علاء الدين، شورشه‌كانى كورد وكورد وكومارى عيراق، به‌غدا١٩٥٩د ل. ٢٤٩.

٣٩- افشار، ايرج، نگاهي به اذربيجان عربي، مجلد اول، تهران ١٣٦٩ ص٥٩١.

٤٠- نيراري، المصدر السابق ص٧٦.

٤١- بارمتي، المصدر السابق ص٨٦.

٤٢- احمد، المصدر السابق، ص٢١٠.
٤٣- سجادي، المصدر السابق ص٢٥٤-٢٥٥.
٤٤- لازاريف، م.س المسألة الكوردية ١٩١٧- ١٩٢٣، ترجمة د. عبدي حاجي الطبعة الاولى بيروت ١٩٩١ ص١٠٥.
٤٥- الحاج. د. عزيز القضية الكوردية في العشرينات، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٨٥ص ١٧٠.
٤٦- المصدر نفسه ص١٧٢.
٤٧- نيراري، المصدر السابق ص١١٤.
٤٨- دشنر، د.كونتر، احفاد صلاح الدين الايوبي، ترجمة عبدالسلام مصطفى صديق، دهوك ١٩٩٧ ص ١٥١.
٤٩- بارمتي،المصدر السابق ص٨٧.
٥٠- ويكرام،المصدر السابق ص٣٤٠/بارمتي، المصدر السابق ص٨٨.
٥١- خالد، ياسين سردشتي «صفحات من تاريخ اثوريي كردستان» مقال مجلة متين. العدد ٦٦ ص١١٨.
٥٢- دشنر، المصدر السابق ص١٥١.
٥٣- بيل/المس، فصول من اريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، بيروت ١٩٧١ ص ٢١٢.
٥٤- المصدر نفسه ص٢٠٢.
٥٥- احمد، المصدر السابق ص١٦٤-١٦٥.
٥٦- المصدر نفسه ص٢١٠.
٥٧- ويكرام، المصدر السابق ص٣٣٢.
٥٨- نيراري، المصدر السابق ص١١٧-١١٨.
٥٩- مالك- ايشو، المصدر السابق ص١٨٧.
٦٠- سجادي، المصدر السابق ص٢٥٤.
٦١- ويكرام، المصدر السابق ص٣٤٠.
٦٢- للمزيد راجع: نيراري، المصدر السابق ص١٢٣-١٤٤.
ويكرام، المصدر السابق ص٣٤١.
٦٣- قاسملو، عبدالرحمن، كوردستان والاكراد، بيروت ص٩٨.
٦٤- للمزيد راجع:
سجادي، المصدر السابق ص٢٥٥-٢٦٠.
ملاحظة المصادر المؤشرة بعلامة * منقولة عن بارمتي.



رد على:

تعقيب مجموعة من الطلبة الآثوريين على بحث «صفحات من تاريخ آثوريي كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى»

بقلم

ياسين سردشتي

عندما نشرت مجلة متين الغراء، وبالتحديد في العددين (٦٥-٦٦) بحثاً، متواضعاً لي عن آثوريي كوردستان تحت عنوان «صفحات من تاريخ آثوريي كوردستان ابان الحرب العالمية الاولى» وكمحاولة لاختراق النمط المألوف والتقليدي القديم وتقديم قراءة علمية جديدة مقارنة لحادثة اغتيال الزعيم الديني والدنيوي للاثوريين بنيامين مارشمعون اعتماداً على دراسة وافية وشاملة لمصادر ومراجع تاريخية متعددة ومتنوعة ذكرت الواقعة والظروف الموضوعية والذاتية التي كانت تحيط بمسرح الحادثة والتي كانت تعيشها المنطقة قبيل واثناء عملية الاغتيال ووفق المنهج العلمي الموضوعي التاريخي، كنت اتوقع وصول ردود وتعقيبات للمجلة من اقلام علمية هادئة ومنهجية حول الاستنتاجات التي توصلت اليها، والتي دونتها في نهاية البحث المنشور، ومناقشتها بشكل موضوعي واكاديمي، دون الانزلاق والوقوع تحت تأثير توجه خاص ودون التشنج الحماسي الذي يقود صاحبه غالباً الى التطرف في القول والقرار يجعل من رده او تعقيبه هزيلاً ناقصاً ومشوهاً.

وفعلاً جاء التعقيب ولم يصح التوقع، وخاب ظني لان التعقيب لم يأت من لدن من كنت اتوقع واتمنى ان يعقب، ليضيف الى ما توصلت اليه حقائق واضافات اخرى جديدة، نعم جاء التعقيب من لدن اقلام من النمط الثاني والتي سمت نفسها بـ «مجموعة من الطلبة الاشوريين» ويبدو للقاريء المهتم بالتاريخ ومن خلال تعقيب هذه المجموعة، انها ليست ملمة بالتاريخ ومدارسه وتفسيراته واصول منهج البحث التاريخي فحسب، بل انها تفتقر الى ابسط المعلومات حول الموضوع وخاصة بالاوضاع

السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمنطقة وتطورها وظهور الحركات التحررية والقومية الوطنية لشعوبها اضافة الى التنافس الاستعماري الشديد على المنطقة والسياسات الامبريالية وستراتيجية وتكتيكات كل منها قبيل وفي الفترة التي كونت الاطار الزمني للبحث، فمن هذه الناحية تعاني المجموعة من قصور فكري وذهني، بشكل جعلتها لاتدرك سقوط (٨٤) سطراً من البحث سهواً ما بين الجزء الاول والثاني من البحث عند الطبع، وقد نوهت المجلة الى هذا النص وقامت بنشره فيما بعد في عددها (٦٨) مع الاعتذار المقبول للباحث ولقراء المجلة.

وجدير بالذكر ان العيب الكبير الذي يكمن في التعقيب والذي جعل المجموعة تقع في اخطاء تاريخية كبيرة هو انطلاق المجموعة من النظرة المسبقة لديها وهي ابراز كل ما يؤيد وجهة نظرها (الرومانسية) وطمس واهمال كل ما هو واقعي يساعد الوصول الى الحقيقة او ما يتقارب وينسجم معها مخالفين بذلك مهمة الباحثين الاكاديميين وجوهر المنهج العلمي، معتمدين على اسلوب الانتقائية المصلحية وهي في الحقيقة اسلوب غير علمي وانتهازي يلجأ اليه غير المتمكنين من مادتهم لاجل الدفاع عن وجهة نظرهم ولاجل المناقشة فقط ليس الا.

ومع كل ذلك يجب القول بان وجود نواقص واخطاء في التعقيب يبدو لي طبيعياً خصوصاً انها اول محاولة جاءت من مجموعة غير متجانسة علمياً ما زالت في بداية طريقها الى الكتابة وتحتاج الى من يشجعها ويرشدها ويصحح مفاهيمها الخاطئة، وان هذا الهدف هو الذي دفعني الى الرد على تعقيبهم، وسوف لن اعود الى الموضوع ثانية، لان هذا التعقيب اخذ الكثير من وقتي وربما من وقت مجلة متين الغراء كذلك، **وادناه عدد من ملاحظاتي:**

اولاً: تذكر المجموعة في بداية تعقيبها جاهلة الخصائص التي تفرق المقال عن البحث التاريخي بانني كتبت مقالاً وان فيه حسب زعمها مغالطات تاريخية كثيرة واخذت على عاتقها توضيح وتصحيح قسم منها فقط، علماً ان ماكتبته هو بحث تاريخي استخدمت فيه اكثر من (٥٠) مصدراً ومرجعاً وبعدة لغات (كردية، عربية، فارسية، انكليزية)ووفق المنهج العلمي التاريخي وبرؤية نقدية وتحليلية واقعية دون الجمود والسطحية والخضوع للاهواء الشخصية والخيال، كما كنت اتمنى ان تشير المجموعة الى جميع المغاطات وليس جزءاً منها كما ادعت، اذ اسأل سبب عدم قيامها بذلك الجميل والعرفان؟! لا ادري هل فاق ذلك قدرتها ام انها تطرفت وبالغت في

حكمها ويهدف التقليل من المكانة العلمية للبحث المنشور.

ثانياً: تنظر المجموعة منذ البداية نظرة سلبية الى معظم واغلب الدراسات والكتب القليلة التي اهتمت جزئياً بالاثوريين ودونت احداث ووقائع حياتهم، وتصفها بانها مزورة ومزيفة لحقائق التاريخ الاثوري وانها نشرت بهدف امحاء الوجود الاثوري واستئصال جذورهم التاريخية من ارض الاباء والاجداد (ئاشورستان- الباحث) ويهدف تهميش دورهم في احداث المنطقة، ان هذه النظرة المسبقة خاطئة لان رفض تلك الكتب والدراسات مسبقاً بحجة انها لم تكتب باقلام اثورية ذات التوجه المقبول لديها، لايخدم حقيقة التاريخ الاثوري المعتم والمنسي، كما لايخدم محاولة بحث هذا التاريخ وتدوينه وفق الاسلوب العلمي التاريخي. اما بخصوص الدور الهامشي الذي لعبه الاثوريون في تاريخ المنطقة فانها حقيقة واضحة لا جدال فيها، اذ هناك انقطاع تاريخي كبير ان لم نقل تام للاثوريين عن ماضيهم وتراثهم، والمصادر التاريخية لاتمدنا باية معلومات حول اي دور فعال ومؤثر للاثوريين على سير الحوادث التي حدثت على مسرح المنطقة، ولذلك ليس من العجب ان يبدأ الكاتب الاثوري (أ. سوشين احدى مقالاته بهذه العبارة «منذ ردح طويل من الزمن والشعب الاشوري غائب عن مسرح التاريخ فاقداً كيانه السياسي»[1].

ثالثاً: تقدم المجموعة تحليلاً عجيباً وغريباً بقولها: ان عدم معرفتي لاصل الاثوريين وجذورهم التاريخية وكيفية تشتتهم وتبعثرهم في جماعات منعزلة متباعدة عن بعضها في كوردستان، هو اعتمادي على المصادر الفارسية، ناسية بان هدف البحث المنشور هو قراءة جديدة في حادثة اغتيال مار شمعون فقط وليس تقديم دراسة مفصلة عن الاثوريين ومراحل تاريخهم، كما يجب الاشارة الى ان اغلب مؤلفي المصادر الفارسية المعتمدة ان لم نقل جمعيهم ليسوا من الفرس، بل ان بعضهم اجانب اوربيون امثال (كرزن، دانيال متي، دياكونوف، نيكتين) والبعض الاخر من قوميات اخرى غير فارسية في المنطقة امثال (شرفكندي الكوردي) و (دهقان، كسروي، تمدن، وافشار) الذين هم آذريون تركمان، هذا فضلاً عن ان جميع الفرس ليسوا من الد اعداء الاثوريين والكورد كما ذكرت المجموعة، فان هذا القول المطلق لاينبع الا من نظرة انعزالية شمولية غير صحيحة.

رابعاً: ترفض المجموعة في البداية جميع الاراء التي قدمتها بخصوص اصل الاثوريين بحجة انها لا اساس لها من الصحة ولا تستند الى واقع تاريخي، فضلاً عن

ان المجموعة تتملص من اي دحض علمي لاي من تلكم الاراء المقدمة ودون تقديم دليل تاريخي واحد لهذا الرفض المسبق لجميعها، وذلك ليست الا لكونها لاتنسجم مع توجهها الخاص، كذلك دونت المجموعة عبارة ليست في محلها اطلاقاً وهي ان تقديمي لهذه الاراء ربما لوجود غرض مقصود او لجهلي بالحقيقة المطلقة، ولست ادري هل اهملت رأياً بارزاً في هذا الموضوع لاخفي به (الحقيقة العظمى)، او ان الباحث لكونه غير اثوري فان دراسته تدخل في القائمة السوداء لدى المجموعة وبذلك ليست لها اية قيمة علمية، ولكن حقيقة ذلك والقصد منه تقديم ما وجدناه امامنا من الاراء ليكون القراء والمهتمين على علم وبيّنة من جميعها في هذا السياق دون التعبير عن رأينا الخاص وتقديم اي تأييد او رفض قاطع لاي منها لاننا لم نكن بصدد التحقيق والبحث عن هذه المشكلة.

خامساً: لايمض على ذلك الرفض الكلي المسبق سطر واحد الا وتتراجع المجموعة عن كلامها وتنتقي من الاراء المطروحة رأياً واحداً تتمسك به باصرار وتؤمن به دون نقاش او جدال، والاكثر من ذلك فانها تفرضه على المقابل وتطلب منه ان يؤمن به ايماناً اعمى والا فانه سوف تفقد نزاهته وعلميته، حيث تقول المجموعة بان على كل باحث نزيه ان يقر بان الاثوريين هم امتداد للاشوريين القدماء الذين اسسوا لهم اعظم امبراطورية عرفها الشرق القديم* هذا الرأي الذي كان ولايزال قيد المناقشة والجدل بين المؤمنين به والرافضين له ليس وسط الباحثين والمؤرخين المختصين فحسب، وانما حتى بين الطوائف الاثنية المسيحية (النساطرة والمارونيين واليعاقبة والكلدان)[٢] التي يحاول اصحاب (نظرية القومية الاشورية) افهامها بانتمائها وانحدارها من الاشوريين القدماء لتجد عينة نموذجية تطبق عليها نظريتها. هذه المشكلة التي لم تحسم لحد الان، فضلاً عن انني لم ادخل في مناقشاتها لامن بعيد ولا من قريب، ولكن هناك حقيقة واضحة للعيان وهي ان الدولة الاشورية القديمة كانت دولة عبودية[٣] والاكثرية الساحقة من ابنائها كانوا من طبقة العبيد المتعددي الجنسية والمواطن واللغة والذين قد اسروا اثناء الحملات العسكرية الاشورية الخارجية (النهب الخارجي في الدول القديمة في الشرق)[٤] واقتادوا الى دولة آشور، لذلك لم تكن تلك الدولة قومية في محتواها لان القومية بورجوازية في اصلها وجوهرها، كما لم يشكل سكان آشور القدماء شعباً او قومية متجانسة يحس ويعي الفرد منهم بالانتماء القومي الذي نجده اليوم لدينا، لذلك طبيعي جداً ان لانجد الا القومية السومرية او العيلامية او الميدية، كما من الطبيعي ان لايجد اصحاب (نظرية القومية الاشورية) مساندين ومؤيدين لهم من بين الاوساط التاريخية والثقافية العلمية، ومن البديهي اننا لم ندخل في جدل

ومبالغة فيها بهذا الصدد اخذتها من مصادر مقتبسه دون الاطلاع عليها، كما اننا بدورنا اشرنا في بداية البحث بشكل واضح الى هذا الموضوع وقلنا «اما بخصوص تعدادهم فليس هناك اية احصاءات دقيقة مستقلة يمكن الاعتماد عليها بشكل مؤكد وهناك اختلافات كبيرة في الكتب والمصادر التاريخية بهذا الشأن لان تعداد الاثوريين قد جرى اعتباطاً من قبل الرحالة او مسؤولي الدول الاوربية في المنطقة والذين كان لهم اغراض سياسية صرفة في تقديراتهم تلك بدليل ان التقديرات تراوحت بين مليون نسمة ومئة الف نسمة، اذ يقدر كسروي..» الا ان التقدير سقط بخطأ مطبعي عند النشر، ومن يقرأ البحث بدقة وامعان لاينطلي عليه هذا الخطأ، ومن ناحية اخرى اننا اعتمدنا في هذا السياق على مصادر متنوعة وذكرنا فقط ارقام احصائية لاثوريي كوردستان، وليس آثوريي روسيا او الموجودين منهم في اوربا حسبما توهمت المجموعة، اما فيما يخص قول نيكتين بوجود (٣٠) الفاً من الاثوريين فاننا دونا هذا العدد لاحصاء الساكنين من الاثوريين في(وان وسنجق گياور) فقط وليس لجميع الاثوريين، هذه النقطة كان لابد من الانتباه اليها قبل اصدار الحكم بحقها.

عاشراً: تحاول المجموعة عبثاً اعطاء الاقلية الاثورية الكوردستانية دوراً اكبر مما لعبته في احداث المنطقة في العصر الحديث، فان الدارس الموضوعي للاحداث يتوصل الى ان الاثوريين كان لهم موقف متذبذب وغير واضح تجاه الحركات التحررية والوطنية في المنطقة ضد الاستبداد التركي والايراني، حيث لم يكن لهم اي دور يذكر في حركة سوران الاستقلالية (١٨٣٤-١٨٣٦) بقيادة الامير محمد باشا الكبير الراوندزي ضد الحكومة العثمانية[٦]، اما في ثورة بدرخان بگ البوتاني فانهم وبتحريض من المسؤولين البريطانيين وقفوا موقفاً معادياً ضد هذه الحركة القومية الاستقلالية [٧]. وعند اندلاع انتفاضة كوردستان عام ١٨٨٠ بقيادة عبيدالله النهري فان جميع محاولاته لم تثمر في كسب تأييد الاثوريين للانتفاضة الشعبية وجرهم للمشاركة فيها وذلك لانهم كانوا تحت تأثير التوجه وارشاد المسؤولين البريطانيين[٨] الذين كان لهم دور في تشكيل جبهة رباعية (ايران- روسيا- تركيا- بريطانيا) للوقوف بوجه مطالب هذه الانتفاضة المتمثلة بتوحيد اراضي كوردستان واقامة دولة كوردية مستقلة واخمادها باستخدام اقسى انواع القمع والارهاب والبطش والتنكيل، اما بخصوص دورهم في الحرب العالمية الاولى فانهم اصبحوا ضحيتها ومن متضرريها الاوائل بسبب وجود الشوفينية التركية من جهة، ووجود القيادة الكهنوتية-الاقطاعية غير الحكيمة وعديمة التجربة وقصيرة النظر من جهة اخرى والتي كانت فاقدة لاستقلاليتها السياسية والعسكرية بشكل اصبحت اداة في يد الاستعمار

الروسي القيصري المخادع اثناء الحرب، وبريطانيا المراوغة واداراتها في العراق فيما بعد الحرب، وقد دفع الاثوريون ثمن مغامرات هذه القيادة الثيوقراطية التي لم تستطع فهم وادراك وتقييم واستيعاب المؤامرات والسياسات الاستعمارية الشائكة والمعقدة في المنطقة هذا التقصير الذي ابعدت القيادة الاثورية عن اقامة صلات مباشرة مع القوى والحركات التحررية القومية والوطنية الاخرى في المنطقة ضد المستعمرين . كما ان ضم ولاية الموصل لم يكن في صالح الاثوريين عام ١٩٢٥، كما حاولت المجموعة في تعقيبها ان تظهر الاثوريين كابطال ذلك الضم، لانهم بذلك فقدوا املهم الوحيد في الرجوع الى هكاري بعد الحرب[٩].

احد عشر: اذا كان قرار القيادة الاثورية الكهنوتية قراراً واقعياً وحكيماً في اعلانها الانتفاضة بجانب روسيا القيصرية ضد الحكومة العثمانية كما حاولت المجموعة اثباته في تعقيبها فكيف تفسر التكتيك الروسي في جعل الاثوريين درعاً واقياً لانسحاب قواتها من شمال غرب ايران [١٠] كما كيف تفسر المجموعة تصرف مار شمعون عندما طرد هو وقواته من الاراضي العثمانية الى ايران، وارسل مبعوثه الي طهران ليطلب من السفير الالماني السلم مع تركيا[١١] اليس هناك ازدواجية خطيرة في القرار السياسي؟

اثنا عشر: وقفت ايران موقفاً محايداً من الحرب العالمية الاولى[١٢]، وانها كانت فاقدة القدرة وضعيفة الى درجة لم تبق لديها اية ممارسة فعلية لنفوذها في ولاية اذربيجان التي كانت تتواجد فيها القوات الروسية منذ عام ١٩١١، لذلك فان ايران لم تعلن الجهاد على الاثوريين كما تزعم المجموعة دون الاشارة الى مصدر يؤيد زعمها.

ثلاثة عشر: في معرض الحديث عن مجيء الارساليات التبشيرية المسيحية الاوربية ومهامها في المنطقة تذكر المجموعة بان هؤلاء المبشرين اخذوا على عاتقهم ولوجه الله ومن اجل سواد عيون الاثوريين مهمة تحضر وتمدن هذه الاقلية وتعريفها بمبادىء النهضة الاوربية، ناسية بان الف باء النهضة الاوربية كانت الحرب على الكنيسة ورجال الدين المسيحي وعلى خرافاتهم وافكارهم الدينية الجامدة والمتحجرة والبالية[١٣] كما ان النهضة بدأت فعلياً بالغاء دور البابوية في قيادة المجتمع والفرد الاوربي والقضاء على استبدادها وطغيانها وبذلك تم طرد رجال الدين من الساحة المستجدة والغاء دورهم في السياسة والادارة والاقتصاد وجميع المؤسسات الاخرى

للمجتمعات الاوربية، ولكن ذكاء البورجوازية الاوربية كان يكمن في ابقائها على الهيكل والمظهر الكنسي دون الجوهر، وجعله في خدمة مصالحها الطبقية في الداخل ولاستعدادات شعوب المستعمرات في الخارج وهكذا بدأ دور المبشرين الجواسيس ومنافستهم للتوجه الى مسرح عملهم من مختلف الدول الرأسمالية الاستعمارية الاوربية، هؤلاء المبشرون ممثلو ومنفذو السياسات الاستعمارية كانوا ممولين بسخاء من الاوساط المالية والسياسية لتلك الدول[١٤]، يقومون بنشاط دعائي وتحريضي ومخابراتي لخلق الفتن والفوضى وضرب شعوب المنطقة احدهم بالاخر، ذلك النشاط الذي ازداد قوة منذ بداية القرن التاسع عشر، لذلك ليس من الغريب قول (لينين)، بحقهم «هؤلاء يحجبون نفاقاً سياسة النهب بدعاوي نشر المسيحية»[١٥].

اربعة عشر: وفيما يتعلق برفع شعار (اقامة دولة آشورية مستقلة) من قبل القيادة الاثورية الثيوقراطية اثناء الحرب العالمية الاولى فانه كان بعيداً كل البعد عن واقعية المنطق السياسي ولم يكن رفعه في مصلحة الاثوريين وخاصة اذا عرفنا المستوى السياسي والعسكري للقيادة الاثورية العاجزة وكذلك واقع الحركات القومية لشعوب المنطقة ودرجة بلوغها ونضوجها، فضلاً عن واقع الاثوريين انفسهم ومستواهم الاجتماعي والفكري والثقافي وحجم دورهم في التأثير على السياسة الدولية والظروف الاقليمية، كل ذلك بالاضافة الى المعرقلات المحلية والاقليمية والدولية التي كانت موجودة فعلاً والتي اشرنا اليها في بحثنا المنشور، تلكم العوامل مجتمعة جعلت ترجمة هذا الشعار الى الواقع ضرباً من الخيال، وقد اثبتت النتائج ذلك ودفعت القيادة الاثورية ثمن رفع ذلك الشعار ومغامراتها بدم آلاف الابرياء من الاثوريين وغيرهم من المسالمين الذين لم يكن لهم دور في اتخاذ ورفع اي من قراراتها وشعاراتها، ويعلق الباحث (ئەسەرد) على ذلك الموضوع بقوله:

«حتى الان هناك خط سياسي رومانسي بين الاشوريين يحلم بمجيء ظروف ملائمة لتحقيق اهداف سبق وان فشلت القيادة الاثورية في تحقيقها في مراحلها الاولى (اي قيام دولة آشورية مستقلة- الباحث) ان هذا الاتجاه يعتقد ويصر ان للاشورين جميع عناصرهم القومية كما يدعو هذا الاتجاه الى مصطلح (الشعب الاشوري) ولكن لايمكن ان يعتبر هذا المصطلح مصطلحاً دقيقاً لان الاشوريين يفتقدون الى اهم عنصر من العناصر القومية والواجب توفرها وهي (الارض)، اذ انهم مشتتون ومتشرذمون في مناطق متباعدة جداً عن بعضها البعض، كما انهم فقدوا مواطنهم الاصلي منذ زمن بعيد دام اكثر من (٢٠٠٠) الفي عام، حيث لم يستطيعوا منذ ذلك الحين التجمع في

اقليم محدد ليشكلوا كياناً اجتماعياً مرتبطاً بالارض، والان بعد الفي عام من التشرد فان تأسيس وطن قومي للاشوريين ليس بامر واقعي وسهل»[١٦].

ويستمر ئەسەرد في معرض حديثه عن مطالبة الاثوريين بالاراضي الذين يعتبرونها (اشورستان) ويقول « ان الاراضي التي كانت تطالب بها القيادة الاشورية لانشاء دولة قومية قد بولغ في مساحتها كثيراً ووسعت على حساب اراضي جيرانهم المسلمين، اذ لم تكن لتلك المطالب اي مبرر شرعي وتاريخي ولم تكن انطلاقها الا من قصر نظر القيادة الاشورية وضيق افقها السياسي والتي كانت تهدف الى فرض الاقلية على الاكثرية»[١٧].

خمسة عشر: تاتي المجموعة بقول غريب وتنبؤ عقيم وفرضية فاشلة في معرض حديثها عن امكانية ضمان الحقوق الديمقراطية والسياسية والثقافية والدينية للشعوب والقوميات المتواجدة على ارضها والتي كانت القيادة الاثورية تطالب بها لاقامة كيان آثوري عليها، وصيانة شرف افرادها وكرامتهم ناسية ان الدولة الاثورية المطالبة بها لم تكن تتحقق الا عن طريق القوة المهيمنة وفرض الاقلية الاثورية غير المتجانسة طائفياً ومذهبياً على الاكثرية من الشعوب والقوميات وحركاتها التحررية التي كانت في طريقها الى النضوج وتحقيق مطالبها القومية المتمثلة في انشاء دولتها المستقلة، ولذلك كانت القيادة الاثورية بحاجة ماسة الي تلك القوة ومصدرها التى وجدتها في روسيا القيصرية الاستعمارية والتي اعطيت لها جميع الامتيازات العسكرية والتجارية والصناعية في الدولة الاثورية المخططة لها[١٨].

هذا من جانب، ومن جانب آخر اذا افترضنا عبور جميع المعرقلات المتواجدة والحواجز المنيعة المعيقة امام تحقيق كيان آثوري مستقل ينتهج الديمقراطية والحياة البرلمانية العلمانية في اسلوب حكم مؤسساتها، هل يكون ذلك الكيان آثورياً قومياً فعلاً؟!

والجواب كلا، اذ لاتكون تلك الدولة آثورية قطعاً لان الديمقراطية لاتقر حكم الاقلية وفرضها على الاكثرية، وبذلك تكون هناك علاقة عكسية بين اقامة دولة آثورية وبين اتباع هذه الدولة النهج الديمقراطي في حكمها.

اما ما حدث على ارض الواقع وما تؤيده وتقره المصادر التاريخية المتعددة هو ان الاثوريين بعدما وجدوا انفسهم اقوياء وتساندهم قوة خارجية استعمارية بحماس

وشكلت لهم الكتائب العسكرية المسلحة تسليحاً جيداً والمنظمة تنظيماً دقيقاً ويقودهم ضباط من الروس، اذ بعد الحاق الهزيمة بالقوات العثمانية وطردها واجبارها على الانسحاب من اذربيجان وشمالي كوردستان الشرقية، اصبح الاثوريون سادة الموقف في المنطقة وبدأوا تطبيق بنود التسامح وضمان حقوق الشعوب والاديان الموجودة في برامجهم باقامة سلسلة من المذابح الجماعية بحق الاذريين الشيعة والكورد السنة في اورمية وضواحيها وراح ضحيتها اكثر من (١٠٠) مئة الف انسان[١٩] ضاربين بنودهم في صيانة شرف الانسان وكرامته عرض الحائط.

ستة عشر: تقول المجموعة بان الاثوريين عملوا على كسب الشعوب الاخرى في المنطقة لدعم تشكيل الكيان الاثوري وتكتب (كالكورد واليزيديين)، جاهلة بذلك المعنى الدقيق لمصطلح (الشعب)، والفرق بين مفهوم الكورد كقومية وشعب وبين الايزدية كاحدى الديانات الكوردية القديمة.

سبعة عشر: تتهمني المجموعة بالتهجم على الاثوريين واظهارهم بالمتعطشين للدماء، الا انني لم اذكر اية حوادث تاريخية الا اعتماداً على المصادر التاريخية المتنوعة وفي هذا السياق نقلت نصاً لويگرام حرفياً، كما لدينا مصادر كثيرة تؤكد شعور الايرانيين بالخوف من مجيء الاثوريين الى منطقة اذربيجان وان ما اقتبستها المجموعة من ويگرام حول قول الطبيب الامريكي نص ناقص وغير مفهوم تماماً ولاينفي الواقع التاريخي، ولشدة ايمان المجموعة بما يذكره ويگرام نأتي بنص في نفس الصفحة التي اقتبست المجموعة منها قول الطبيب الامريكي مكدافيل، اذ يقول ويگرام:

«حقاً انهم بدأوا ينهبون ويغتصبون (اي الاثوريون-الباحث) ليس في منطقة سلماس التي اتخذها البطريك مقراً بل في ضواحي اورمية حيث لاتوجد يد ضابطة او سلطة رادعة»[٢٠]. وبعد ذلك يستمر ويگرام في وصف مغامرات الاثوريين بكونهم مولعين باطلاق الرصاص وتفجير القنابل في الوديان والمضايق الجبلية ذات الصدى ودون مناسبة ارضاءً لروحهم القتالية فقط[٢١].

ثمانية عشر: تذكر المجموعة بان السلطة الثيوقراطية الاثورية وبقاءها بشكل وراثي في عائلة اثورية واحدة كانت الرادع الوحيد لمنع وصول (العناصر المشبوهة) اعداء الامة الاثورية الى دفة الحكم، ولانفهم ما تعني المجموعة بهذا القول الغامض

ومن هم العناصر المشبوهة ولماذا يعادون الامة الاثورية!!؟.

تسعة عشر: لم تكن السلطة الدنيوية للبطريك الاثوري معترفاً بها من قبل الخلفاء المسلمين والملوك المغوليين وسلاطين العثمانيين كما اشارت اليها المجموعة دون مصدر يؤيد زعمها، والحقيقة ان النظام الذي اتبعته السلطات المذكورة تجاه مسيحيي دار الاسلام كان نظام (اهل الذمة)[٢٢]، الذي يعطي بموجبه للمسيحيين حق ابقائهم على دياناتهم وممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية والمذهبية بحرية تامة لقاء دفعهم الجزية للدولة، اما بالنسبة لوضعهم السياسي فكانوا مواطنين من الدرجة الثانية ولم يكن يحق لهم ممارسة اية سلطة دنيوية داخل نطاق مؤسسات الدولة الدينية الاسلامية ولا خارجها، وهذه حقيقة يجب عدم اغفالها.

عشرون: تذكر المجموعة جاهلة هدف البحث التاريخي ومهمة المؤرخ بقول ينافي المنطق العلمي، اذ تقول ان فتح الملفات القديمة ودراسة الحوادث والقضايا الغامضة لاتخدم واقعنا الحالي وما نعمل اليوم في سبيل تحقيقه، وهذه النظرة الخاطئة لابد من التصدي لها بقول ان من يحترم الحاضر ويعمل للمستقبل عليه ان يدرس الماضي ويستخلص منه الدورس والعبر، وعلى حد قول الاستاذ جرجيس فتح الله[٢٣]، «ان اشد ما نعاني منه نحن الشرقيين وما سبب عيباً كبيراً لنا عند غيرنا هو اننا نهرب من الحقائق الاليمة ونحاول اسقاطها من الحساب كانها لم تحدث اطلاقاً وهذا ما يسم حلولنا للمشاكل التي تجابهنا بميسم النقص والنظر اليها بعين الديك، كما يقول المثل اي من جهة واحدة وكل هذا لاننا لانريد ان نتألم او نكره ان نذكر بخطأ اقدمنا عليه نحن او اسلافنا، لان التاريخ طاحونة صماء لاترحم احداً ولا تتحيز لاحد ولا تحابي احداً والجراح سوف تكون قاتلة ان هي التأمت على قيح، وحري بنا ان لانخاف الماضي لكونه مؤلماً طالما كان في هذا الماضي ثم فائدة للحاضر والمستقبل».

لذلك فمن اللامعقول ان نقول او نتصور بان البحث والتحقيق في مثل هذه الحوادث لاتخدم الا المتربصين للنيل منا ومن قضايانا، بل العكس فان هذه الدراسات العلمية لابد منها كي نكون واقعيين ومنطقيين وعلميين في وضع برامج تطورنا والتقدم بقضايانا التي التحمت وارتبطت بشكل لاحل لاحداها بمعزل عن الاخرى، ولانجد حلها الامثل الا في تحقيق السلام والحرية والديمقراطية والعدالة.

واحد وعشرون: لاتذكر المصادر المعاصرة للاحداث او اي مصدر تاريخي درس

شخصية سمكو اغا بانه اقر واعترف بالمارشمعون زعيماً دينياً اعلى لكوردستان كما ذكره ويگرام واقتبست منه المجموعة، لان المسيحيين في كوردستان اقلية مقارنة بالمسلمين وبالديانات المحلية والتيارات الاخرى غير الاسلامية، وان صح ذلك فلا يخرج من باب المجاملة لدى سمكو اغا واعترافه بمارشمعون كرئيس روحي اثوري، فكان من اهم الصفات البارزة- لسمكو هي مجاملته للجميع، ويؤكد ويگرام مجاملة سمكو في ذلك بقوله «مصرحاً بشذوذ غير مسبوق»[٢٤].

اثنان وعشرون: لقد اكدنا ببراهين عديدة في بحثنا بان سمكو اغا لم يدخل في اي حلف مسبق مع الاثوريين وكانت علاقته معهم اثناء سنوات الحرب تتسم بالعداء الشديد، وان فكرة التحالف الاثوري- الشكاكي كانت فكرة اثورية عمل على تحقيقها مارشمعون وهو الذي وجه الرسالة بنفسه الى سمكو بهدف اللقاء به وكسبه الى جانبه في تشكيل دولة اثورية، المشروع القومي الاثوري، وبهدف البقاء قوياً في المنطقة ولكن سمكو اغا كان يرفض ان يكون اداةً، كما ازداد قلقه حول شدة وقوة الاثوريين وازديادها يوماً بعد يوم في منطقته وكان غارقاً في التفكير حول التخلص من هذا الخطر الاثوري المستجد، وقد جاءت الفرصة ووصلت رسالة مارشمعون اليه حيث وافق بدون تردد وبهدف اغتيال زعيم الاثوريين، وكانت عملية الاغتيال السياسي انذاك عملية شائعة ومتبعة بكثرة بين الاطراف السياسية والعسكرية المتخاصمة وانها طبيعية وليست غريبة لا على المنطقة ولا عند تلك الاطراف[٢٥]، ولكن يجب القول بان هذه الحادثة قد ضخمت وبولغ فيها لكون الضحية في هذه المرة تجمع اضافة الى صفتها الدنيوية، الوظيفة الروحية وظهوره بمظهر رجل دين ليس الا، كما تجدر الاشارة بان حوادث الحرب العالمية الاولى راحت ضحيتها ملايين البشر واخذت منطقة اذربيجان وكوردستان الايرانية حصة الاسد من تلك الضحايا لانها اصبحت ميدان حرب فعليه وحلبة اقتتال الجيوش المتحاربة[٢٦]، وان تلكم الضحايا كانوا من جميع المراكز السياسية والاجتماعية والعسكرية والدينية.

ثلاث وعشرون: تتفق المجموعة مع ما توصلت اليه في البحث بخصوص عدم اغتيال مار شمعون في بيت سمكو اغا كما روج له، وهذه نقطة ايجابية وحقيقة تاريخية وليست ادعاء، كما تقول المجموعة والحقيقة الاخرى الاكثر اهمية هي ان سلماس (كونه شهر) المكان الذي اغتيل فيه مارشمعون لم يكن ضمن مناطق نفوذ سمكو اغا حينئذ، وان اغلب سكانها انذاك من الاذر والارمن[٢٧]، اما قضية اجتماع الزعيمين في بيت تيمور اغا فلا يشير اليها حتى العقيد الروسي كوندارتييف الذي

كان بصحبة مار شمعون وقت ذهابه للقاء سمكو واذا افترضنا بان ما تقوله المجموعة صحيحاً بخصوص دور تيمور اغا في عملية الاغتيال ومكافأته من قبل سمكو بجعله حاكماً على اورمية عاصمة اذربيجان الغربية، فيواجه المجموعة سؤالاً حرجاً وهو لماذا لم يكافأ سمكو تيمور اغا باعطائه مبلغاً من المال الذي اخذه سمكو من الايرانيين كما تدعي المجموعة دون اعتمادها على اي مصدر تاريخي محايد، وكافأه باعطائه اهم منصب سياسي وسلطوي في حكومته المشكلة عام ١٩١٩؟ اي لماذا كانت المكافأة سياسية وسلطوية. لم تكن مادية؟ والجواب هو لان دافع الاغتيال كان دافعاً سياسياً سلطوياً وليس مادياً.

اربع وعشرون: فعلاً ان المجموعة اصيبت بخصوص اشارتنا الى عدم موضوعية الكتب التي الفها الموظفون والجواسيس البريطانيون ووصفنا لاغلبيتها بالتحيز والازدواجية والسطحية بشأن حادثة الاغتيال، وكذا الحال بخصوص بعض المصادر الايرانية وبعض الكتاب الكورد ايضاً، وهذا القرار لم يأت اعتباطاً بل جاء نتيجة الدراسة الشاملة لجميع تلكم المصادر والتحقيق في مؤلفيها واتجاهاتهم السياسية واغراضهم في تأليف كتبهم، ومقارنتها مع بعضها في ذكرها للحوادث وتفسيراتها المتباينة، وهذا من اولويات مهمة الباحث التاريخي الموضوعي حيث انه ليس معنياً بالتجوال وراء النص البارد او الاحتكاك بمشاعر صاحبه، ولكن من صلب مهمته تفكيك عناصر النص من دون العبث به، ويكون البحث الدائب عن الحقيقة في طليعة همومه، وهي التي تقوده وراء الضوء في دهاليز النص التاريخي وشعابه للوصول من خلال قراءة نقدية له الى رؤية اكثر مقاربة للحقيقة التاريخية، وهكذا على الباحث الوقوف امام المصدر التاريخي والنظر اليه بريبة ويلامس عمق المسائل بشكل يصبح الشك وسيلة ايجابية لتفسير الحادثة وليس عنصر اعاقة او تشويش لها.

خمس وعشرون: لقد اوقعت المجموعة نفسها في مأزق كبير عندما لجأت الى انتقاء عدة اسطر من كتاب (شورشەكانی كورد ....) للكاتب الكبير علاء الدين سجادي وترجمتها بشكل خاطيء لعدم المامها باللغة الكوردية وذلك لتثبيت وجهة نظرها اللاعلمية، وكان من المفروض لها ان تعرف ذلك من خلال النص الذي اقتبستها من د.كمال مظهر مسبقاً لانه قصد بقوله الكاتب علاء الدين سجادي وثبتها في هامش كتابه (كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى) في ص ٢١١، وكما هو معلوم كان سجادي من الكتاب القلة الذين لم يدينوا سمكو على اغتياله لمارشمعون ولم يتسرع في اصدار حكم سلبي عليه، فانه كان واقعياً الى ابعد الحدود وفسر

عملية الاغتيال تفسيراً دقيقاً لايؤيد وجهة نظر المجموعة باي حال من الاحوال لا بل يناقضها كلياً، ولاثبات ما نقوله نكتب ونترجم ما قاله سجادي في هذا السياق حرفياً، اذ يقول «كان مارشمعون الرئيس الروحي والدنيوي للتياريين، هؤلاء الذين درس عدد منهم في اوربا وروسيا وكانوا مهياؤن ومستعدون لتنفيذ اي عمل يطلب منهم وبتفان، كانت قواتهم تتكون انذاك من (٢٥) الف حامل بندقية، وبعد تشردهم من تركيا اثرٍ هجوم الحكومة العثمانية بقيادة علي احسان باشا توجهوا الى اذربيجان الغربية في ايران وقد لاقى هؤلاء كثيراً من الاضطهاد على ايدي الاتراك وكانوا حاضرين مستعدين لتنفيذ ما يقال لهم حرفياً وعلى رأسهم المارشمعون).

جاء الروس وحرضوا مارشمعون واعطوه عهوداً ووعوداً كثيرة وتحدثوا معه ليحسم لهم مسألة وجود اسماعيل اغا الذي كان عائقاً كبيراً امام اهداف الروس من جانب مارشمعون- من جانب اخر، حيث بدأ مار شمعون يراسل سمكو بحجة انشاء كيان (كوردي- ارمني) ولكن هدفه الحقيقي كان الالتفاف على سمكو والقضاء عليه وعلى الكورد، وبذلك تصبح الحكومة ارمنية- اثورية فيما بعد ، وكما اشرنا سابقاً الى القوات الاثورية فانها كانت منظمة ومدربة ومسلحة يقودها ضباط روس وتدعمها روسيا القيصرية مباشرة، اما قوات سمكو فانها لم تكن بنفس الحجم والتنظيم، فكانت مكونة من افراد العشائر ولم تكن هناك جهة تساندها بالسلاح والعتاد، لذلك ان القضاء على سمكو كان سهلاً بعد ما يوطد مارشمعون اقدامه،... ان سمكوكان يفهم بشكل جيد نوايا مارشمعون والاثوريين الحقيقية لذلك خطط للقضاء عليهم قبل ان ينفذوا مآربهم[٢٨].

ويستمر سجادي في حديثه ويذكر بالتفصيل عملية الاغتيال وبعدما ينتهي منها بالقول:

«لقد كتبت هذه الحادثة بالتفصيل لان بعض الكتاب يظهرون بان سمكو كان خاطئاً في اغتياله لمارشمعون وانه الحق ضرراً بالكورد، فبعد قراءة ما كتبته يستطيع هؤلاء ان يحكموا بالسلب او الايجاب على ما فعله سمكو، الا ان اغتيال مارشمعون من قبل اسماعيل اغا قد فاجأ الدول الاجنبية الاستعمارية وافشل كثيراً من مخططاتها وتآمر روسيا وبريطانيا التي اعتمدت على التياريين»[٢٩].

ست وعشرون: تعتبر نظرة المجموعة الى سمكو وتكوينه الخلقي نظرة حاقدة مشوهة ناقصة ومتناقضة مع الواقع، فكان سمكو قبل كل شيء ورغم صغر سنه

انساناً سياسياً، فقد ورد عنه ما نصه في تقرير روسي خاص «تقريباً منذ عام ١٩١٤ اصبح سمكو معروفاً على نطاق واسع في الدوائر الروسية والبريطانية والايرانية والتركية، ففي سفارة كل واحد من هذه الاقطار وكذلك في وزاراتها الخارجية، يوجد ملف كبير عن سمكو»[٣٠]، اما الشيخ لطيف ابن الشيخ محمود فيقول عن سمكو في مذكراته «كان سمكو رجلا شجاعاً ذكياً ذا مقدرة عظيمة ودبلوماسياً من الطراز الاول، وكان مقاتلاً شجاعاً، محباً للامن والاستقرار وعدواً لدوداً لعملية السلب والنهب، وانه لم يكن من الزعماء الذين يبيعون مبادئهم ووطنهم من اجل المال والمنصب»[٣١]، بينما يصفه د. عثمان «ثعلب السياسة الكوردية ورائدها في البرغماتية»[٣٢] ومن المعروف ان المراوغة والمناورة صفتان متميزتان يجب توافرهما في السياسي، كان سمكو يتبع سياسة اللعب على الحبال بحكم طبيعة الموقف والظروف التي كانت تحيط به وذلك لخدمة مبادئه القومية والوطنية وليبقي على توازنها وقوتها العسكرية بين الجهات المتعددة والمناوئة له، فقد جاء الاتي: في احد المراجع الحديثة «تدخل سمكو مع القوات الروسية في الاراضي التركية، وبعد ان ناور بنجاح خلال اعوام (١٩١٥-١٩١٨) بين الاطراف المتحاربة، سيطر على الوضع في المناطق الكوردية الواقعة في شمال غربي ايران وفي المناطق التركية المتآخمة لها»[٣٣]، وجاء في مكان آخر من نفس الكتاب «كان اسماعيل اغا يغير من توجهه، وبسهولة تبعاً للموقف»[٣٤].

ويعلق الباحث الهولندي برونسن في معرض حديثه عن موقف سمكو من اندلاع الحرب العالمية الاولى وتبنيه سياسة تميزت بهدوء نسبي والتريث والحياد وعدم الاندفاع والمغامرة بقوله «لتبقى جميع الابواب مفتوحة امامه»[٣٥]، وبعد كل ما تقدمنا نستنتج بان دهاء سمكو السياسي ومراوغاته المصلحية واستقلاليته في القرار جعلته لايكون موضع ثقة الحكومات المستبدة الاقليمية والحكومتين الاستعماريتين الروسية والبريطانية، بل على العكس من ذلك فان الروس والبريطانيين لعبا براحة البال وبسبب ضيق الافق السياسي للقيادة الكهنوتية- الاقطاعية الاثورية وفقدانها للتجربة السياسية والبرنامج المنظم، بورقة الاثوريين في المنطقة كأداة طيعة تخدم مصالحها الستراتيجية والسياسية والعسكرية. هذا من جانب.. ومن جانب اخر فان احداث اذربيجان وكوردستان الايرانية منذ الثورة المشروطية (١٩٠٥-١٩١١) وما رافقتها من حوادث الحرب العالمية جعلت المنطقة تعيش في اوحش فتراتها التاريخية وفي توتر دائم بواسطة المشاحنات والاقتتال والمصادمات الدموية بين الجهات المتصارعة والمتنافسة المتعددة بحيث ان مصطلحات (الامان الوفاء والوعد) والقيم

الاخلاقية المثالية لم تكن تتبع او تتعامل بها الاطراف المتصارعة في المنطقة، وكما ذكرنا مسبقاً بأن عملية الاغتيالات السياسية كانت شائعة جداً وتمارس بشكل عام من قبل الجميع دون استثناء.

سبع وعشرون: التجأت المجموعة كعادتها وقت الشدة الى اللاهوتي الاسكتلندي ويكرام للدخول في جدل عقيم لاثبات قيام سمكو باغتيال مارشمعون بدافع مادي، حيث تذكر بان الجموع الاثورية عثرت على رسالة تحريضية من موختي شمس الى سمكو لتنفيذ عملية الاغتيال. وهنا علينا ملاحظة:

أ- لايوجد في المصادر الايرانية والمصادر التاريخية التي درست تلك الفترة ذكر لرجل اسمه (موختي شمس) كوالي لاعلى تبريز ولا على اورمية عاصمة اذربيجان الغربية.

ب- اين هي الرسالة التي عثر عليها الاثوريون؟ ولماذا لم ينشر او يشر الى محتواها، اي مصدر او مرجع تاريخي؟

جـ- لقد ذكر ويكرام بان تنفيذ علمية الاغتيال كان بتحريض من الحكومة الايرانية وليس مقابل المال والذهب[٣٦].

د- ان بعض المصادر تشير الى ان العملية نفذها سمكو مقابل المال ولكن ليس من قبل الحكومة الايرانية كما تدعي المجموعة، فيقول (دانيال متي) بان سمكو اغتال مار شمعون بتحريض من الانكليز ومقابل المال حتى يصفو الجو لمنافس مار شمعون اغا بطرس[٣٧]. بينما ايكلتن يتهم سمكو باخذ الرشوة من الاتراك مقابل تنفيذه العلمية[٣٨]. والسؤال الوجيه هنا كيف تدحض المجموعة ما ذكره كل من (متي وايكلتن) واللذان يناقضان ما ادعته المجموعة؟ هل يمكن لسمكو ان يخدع الجميع ويستلم من (الترك والفرس والانكليز) المكافأة لتنفيذ العملية؟!!

هـ- اما بخصوص ما تذكره الجاسوسة البريطانية (مس بيل) عن سمكو ووصفه بانه انتهازي، فانه وصف يضفي القوة والهيبة السياسية على شخصية سمكو ومكانته لان الوطنيين واصحاب المبادىء هم انتهازيون فعلاً في نظر المستعمرين فان بيل وحكومتها هما اخر من يتحدث عن الانتهازية والنفاق والدناءة وامتصاص دماء الشعوب واستعباد البلدان لان هذه المصطلحات صدرتها بيل وحكومتها الى الشرق الضعيف امام مؤامرات الامبريالية.

و- وفيما يخص ما قاله سمكو في مقابلته الصحفية مع مصطفى باشا ياملكي وذكره عبارة (رد الجميل) فمغزى هذه العبارة ليست الرشوة او المكافأة المادية كما ارادت المجموعة تفسيرها، وانما تعني اعطاء الحكم الذاتي المستقل لكوردستان

الايرانية والاعتراف بسمكو من قبل الحكومة الايرانية كحاكم اعلى لتلك الادارة، وهذا يبدوواضحاً بعدما نكمل الوثيقة اي جواب سمكو لسؤال مصطفى باشا حول اغتياله مارشمعون، حيث يقول:

«ولاسباب عديدة استقر بي الرأي على قتل مارشمعون الذي كان يخطط من وراء ظهورنا للسيطرة على كوردستان الشمالية، وفي الوقت المحدد قمت بقتله ووضعت حداً لطموحاته السياسية، الا ان الايرانيين انكروا وعودهم (اي رد الجميل- الباحث) ورجعوا عن كلامهم، لذلك هاجمت اورمية وشكلت حكومتي وعينت ولايتي في جميع المناطق»[٣٩] وهذا يعني ان ما لم يحققه سمكو بالاسلوب السياسي حققه بالقوة العسكرية المهيمنة.

ثمان وعشرون: فشلت المجموعة فشلاً ذريعاً في محاولتها اليائسة الاخيرة ايضاً في اظهار سمكو كشخص متعصب عشائري، واعتمدت على الجاسوسة (بيل) لتؤكد زعمها الباطل على اساس ان لسمكو دوراً في فشل الثورة الاولى للشيخ محمود الحفيد، الا ان هذا القول الساذج لايمت بصلة الى الحقيقة وتناقضه جميع المصادر التاريخية التي درست ثورات الشيخ وعلاقاته مع سمكو اغا، لذلك نرى من الضروري تقديم بعض التوضيحات على ذلك.

أ- عند قيام ثورة الشيخ محمود الحفيد الاولى (١٩١٩) كان سمكو منشغلاً بقيام حركته الاستقلالية ضد الحكومة الايرانية بهدف انشاء دولة كوردستان[٤٠]، وان نفوذه وقوته ومكانته لم تكن اقل من الشيخ محمود سياسياً وعسكرياً واجتماعياً، لذلك لم يكن يوجد اي مبرر لعامل الحسد والتناقض في الاهداف والاختلاف في المبدأ، كما لم يكن سمكو قائداً عسكرياً تحت امرة الشيخ لينافسه ويحسده كما كان الحال لدى اغا بطرس مع مار شمعون.

ب- على المجموعة ان تراجع مذكرات الشيخ لطيف الحفيد ابن الشيخ محمود لتعرف الموقف الابوي النبيل لسمكو من عائلة الشيخ التي تشردت ولجأت الى ايران اثر فشل ثورة الشيخ عام ١٩١٩ ونفيه الي الهند من قبل الاستعمار البريطاني، فبعد وصول عائلة الشيخ الى سلماس بصعوبة نتيجة الملاحقات الانكلو- ايرانية لها، اصدر سمكو اغا فرماناً جاء فيه «تشردت عائلة الشيخ محمود القائد بسبب اضطهاد وظلم المستعمرين الانكليز، والتجأت الينا، لذلك اجد لزاماً علي وعلى حكومتي تقديم جميع المساعدات الضرورية لها وتأمين حياتها والذود عن شرفها، اعاهد شعبي ان نكون معها في السراء والضراء، واقف ضد من يطالب بتسليمها حتى اذا خسرت

في ذلك روحي وضحيت بكل فرساني[٤١]، ويبدو ان هذه الحادثة قد اثرت على سمكو وجعلته اكثر عداءاً للانكليز ويظهر ذلك واضحاً في الرسالة التي ارسلها المندوب السامي في بغداد الى الضابط السياسي البريطاني في السليمانية في ١٩ آب ١٩٢١، حيث يقول:

«... هناك رأي بان سمكو معاد لنا جراء معاملتنا للشيخ محمود، فيرجى التأكد من ذلك»[٤٢].

ج- على المجموعة ان تقرأ المراسلات التي جرت بين الزعيمين الكورديين[٤٣] بعدما انسحب سمكو تحت الضغط الايراني- التركي- الانكليزي الى كوردستان العراق في تشرين الاول ١٩٢٢، وعن المحاولات اليائسة لبريطانيا للاستفادة من شخصية سمكو ومحاولاتها اغرائه بالمال والمنصب[٤٤]، اذ كان سمكو عارفاً بنوايا الانكليز وقال فيهم «ان الانكليز يكذبون فيما يقولون.... ونواياهم عن الشعب الكوردي دنيئة، واية وعود يقدمونها بهذا الشأن ليس الا خداع وكذب، ينوي الانكليز استغلالنا لتحقيق مصالحهم ويحاولون جعلنا آلة وعملاء لهم، انني لا اتجرأ على خيانة شعبي واقبل ما يقدمه الانكليز من عرض مغر»[٤٥] وما هو واضح ان الشيخ محمود دعا سمكو الي عاصمة حكومته السليمانية فاستجاب سمكو لتلك الدعوة وذهب الى السليمانية في ١٩٢٣/١/٨، فاستقبل اهالي السليمانية سمكو استقبالاً رسمياً حافلاً واعلنت العطلة الرسمية وخرج التلاميذ والجماهير الى الشوارع للترحيب بالبطل المغوار ووصفته صحيفة (روژ كردستان) لسان حال الحكومة الكوردية بـ (حامي كردستان) الذي لاتلين له قناة صاحب الجلالة اسماعيل اغا سمكو[٤٦] وكان ذلك الاستقبال الرائع محاولة لشحن المشاعر القومية الكوردية، كما كان تعبيراً عن امتنان الملك محمود لسمكو نظراً لايواء الاخير لاسرته كما مر ذكره. وقد بقي سمكو ضيفاً عند الشيخ لمدة عشرين يوماً وعند ذهابه سمح له الشيخ ان يأخذ معه (رشيد جودت) احد الضباط القوميين والمؤيدين للشيخ محمود كمستشار له[٤٧] كما عبر سمكو عن شكره وتقديره لاهالي السليمانية وعلى رأسهم الشيخ محمود في جريدة (روژ كوردستان) وقال بان الاستقبال الحافل من قبل الشيخ واهالي السليمانية قد انساه ما قاساه من الالام والعذاب في سبيل الامة والوطن[٤٨].

تسع وعشرون: كان اغتيال مار شمعون بداية فعلية لنهاية دور الاثوريين في احداث الحرب العالمية الاولى وتواجدهم في اذربيجان الغربية وطردهم من ساحة الصراع، فلا شك ان اغتيال هذا الزعيم الاثوري قد اثار حماس الاثوريين الذين بدأوا يحرقون الاخضر واليابس ثأراً لزعيمهم*، الا ان هذا الحماس لم يبق له وجود بعد

فشلهم الذريع في القبض على سمكو من جهة، وعدم قدرتهم على مواجهة الزحف العثماني الى المنطقة مجدداً من جهة اخرى والتي نتج عنها تخلخل وارتباك الاثوريين واصيبوا بيأس وقنوط شديدين على حد قول سجادي[٤٩]، اذا لم يبق لهم خيار سوى ترك المنطقة باسرع ما يمكن، ويصف الباحث الايراني تمدن ذلك الحدث قائلاً: «وفي يوم الاربعاء المصادف ٢ آب ١٩١٨ قام الاثوريون بتفجير وحرق جميع ما لديهم من مخازن العتاد وبعض اغراضهم المثقلة عليهم، وحملوا ما هو نفيس وضروري واستعدوا لترك المنطقة مع عوائلهم وتوجهوا صوب بيجار للالتحاق بالقوات البريطانية[٥٠] ومن الضروري هنا ان نشير الى تكملة قصة الاثوريين بعد طردهم من شمال غربي ايران ولانستخدم المصادر الايرانية في ذلك لكي لاترفضها المجموعة قبل قراءتها بل نعتمد على ما ذكره (بارمتي) المصدر المفضل لديها، فيقول بارمتي بان الجموع الاثورية بعد نزوحها وصلت الى (ساينكالا) في ظروف سيئة للغاية اذ اول ما وصلوا هناك قاموا بحرقها واقاموا مذبحة جماعية بحق اهاليها[٥١]، ثم توجهوا بعد ذلك الى همدان وهناك شكل الانكليز منهم فصائل مسلحة شملت (٤) كتائب بتعداد (٨) آلاف مسلح وتم تدريب هذه الكتائب بشكل مكثف في همدان ومن قبل ضباط انكليز وذلك بهدف استخدامهم في حماية املاك الاحتكارات الانكليزية النفطية من جهة وكمادة دفاعية لايقاف مطالبة الاتراك بولاية الموصل التي اصبحت موضع نزاع بين الجانبين بعد الحرب[٥٢]،هذا من جانب . ومن جانب اخر جعل الانكليز الكتائب الاثورية اداة طيعة لقمع الانتفاضات الشعبية العارمة الكوردية (بضمنها انتفاضات وحركات الشيخ محمو الحفيد) والعربية ضد لحكم البريطاني الاستعماري وادارتها الطاغية في العراق، حيث خلقت مشاركة الكتائب الاثورية التي بلغ تعدادها ١٠ آلاف شخص في قمع هذه الحركات وتحت امرة البريطانيين المستعمرين هوة واسعة بين الاثوريين النازحين من جهة وسكان البلاد من الكورد والعرب من جهة اخرى[٥٣]. هذه الكتائب القمعية التي جعلت من البسطاء الاثوريين وقوداً رخيصة لاستمرار اضاءة فانوس الحكم الانكليزي في العراق، ذلك الحكم الذي لم يبخل من جانبه ايضاً في تقديم هباته وعطاياه للقيادة الكهنوتية، فيقول بارمتي عن ذلك «لقد كان لزعماء الاشوريين كسورما خانم شقيقة البطريرك بنيامين مارشمعون وعمه البطريرك ايشا مارشمعون الدور الكبير في تاسيس هذه الكتائب، اذ كان لها كما للملوك والكهنة مصلحة مادية في توسيع تشكيلات الكتائب العسكرية حيث كانت العائلة البطريركية وكبار القادة والكهنوت يتقاضون وفق الاتفاق مع الانكليز حصة نقدية من مرتب كل ضابط ومجند اشوري»[٥٤]

اليس هذا كافياً لنقول بان المغامرات التي دخلتها القيادة الكهنوتية الاثورية

وقراراتها وتصرفاتها اللامسؤولة كانت تنبع من المصلحة الذاتية والطبقية الضيقة للقيادة وليس بقرارات واقعية املتها الظروف الذاتية والموضوعية عليها كما توهمت المجموعة واقرتها.

ثلاثون: تشير المجموعة في معرض حديثها عن حصار القوات الاثورية وهجومها على جهريق معقل سمكو الحصين، بان سمكو اغا قد لاذ بالفرار بين النساء والاطفال الذين افسح لهم الاثوريون المجال للهرب، هذا القول الحماسي اللامعقول والذي لانسمع مثله الا في قصص الاطفال، فحقيقة الموضوع كما يحدثنا سجادي هي «بعد حادثة الاغتيال امر اسماعيل اغا ترك بلدة كونه شهر لانه كان يدرك محاولة التياريين الانتقامية، وعدم استطاعته مجابهتهم لذلك امر سكان المنطقة بترك مناطقهم والانسحاب الى الجبال وقد وصلت القوات الاثورية العسكرية بعد فترة قصيرة وانسحب سمكو بشكل منظم الى جهريق، الا ان التياريين وصلوا الى جهريق وحاصروها، وقد اصبحت المسألة خطيرة جداً حيث سدت الطرق على اسماعيل اغا وقواته، فبعد بحث المسألة قرر سمكو ان يهاجم بكامل قوته وبشكل مفاجيء على اضعف زاوية من الحصار، اذ تمكن بجرأته وشجاعته العسكرية الفريدة من فك الحصار المضروب عليه وخرج من المأزق وتوجه بعدها الي مدينة (خوي) وفشل التياريون في تحقيق هدفهم»[٥٥].

اما بخصوص التسامح الاثوري تجاه النساء والاطفال فيظهر من خلال عدد ضحايا الهجوم الاثوري الانتقامي بحق العزل البالغ حوالي (١٠) الاف ضحية من بينها النساء والاطفال وبالاخص ام سمكو العجوز وبنت جوهر اغا شقيق سمكو[٥٦] وقد باركت (سورما خانم) اخت مارشمعون والتي اصبحت بعد اغتيال اخيها قائدة للجموع الاثورية، قواتها لبذلها جهوداً جبارة لاخذ ثأر اخيها البطريرك.

واحد وثلاثون: قبل ان ينتهي التعقيب بعدة اسطر تسجل المجموعة قولاً هو بالاصل للباحث الايراني (تمدن) تناقض به وجهة نظرها المسبقة وتضرب به هدف كتابة تعقيبها عرض الحائط وهو «ان سمكو اغا اعتقد بان اغتياله لمارشمعون سيفقد الاثوريون قوتهم ووحدتهم»[٥٧] ان قرار المجموعة وتسليمها لهذا القول يعني اعترافها الواضح بدور العامل السياسي والنزاع على السلطة والسيادة بين الجانبين (سمكو - الاثوريين) اذ ان سلطة ونفوذ سمكو كان مهدداً بزيادة النفوذ الاثوري وخاصة بعد تقديم الدول الاجنبية (روسيا فرنسا وبريطانيا) المساعدة العسكرية لهم[٥٨] وان الحل

الوحيد لخروج سمكو من هذه الورطة ونجاته من الخطر المحدق به هو التخلص من زعيم الاثوريين الذي كان يمثل القيادة بكاملها، اذ انه لم يمتلك من القوة العسكرية ما يحقق بها هدفه في ساحة الوغى لذلك لاسبيل امامه غير (الاغتيال السياسي) وكما هو شائع فان الحرب خدعة.

فاذا فقدت القاعدة قيادتها ترتبك ويختل توازنها وبالتالي تاثيرها كما حدث في الواقع.

ويمكن القول بان المجموعة اصابت كبد الحقيقة لاول مرة في اخر تعقيبها، ولكن المؤسف في ذلك ان تلك الاصابة لم تأت عن دراية او علم او تدقيق او مقارنة بل جاءت نتيجة اسلوب المجموعة في رفض وقبول الاراء والاقوال والحقائق بشكل منفرد ودون ربطها جميعاً ومشاهدة اذا كان اي من هذه الاراء والاقوال يعزز فكرة التعقيب او يزيد من هزالته اكثر مما هو عليه في الواقع.

اثنان وثلاثون: اكتفي بهذا القدر من الملاحظات على متن التعقيب، ولولا الانزعاج والملل الذي تولده الاطالة لكنت اوضح نواقص واخطاء تاريخية وفكرية اخرى موجودة فيه، ولابد من الاشارة اليها وتصحيحها خدمة للتاريخ، ويبقى الان ان نقدم بعض ملاحظاتنا عن هامش التعقيب والذي كان من المفروض ان يكون متنوعاً وغنياً بالمؤلفات المتباينة وخاصة المصادر الاجنبية الانكليزية لان اسلوب العمل الجماعي من جهة وكون اثنين من المجموعة في قسم اللغة الانكليزية يسهل ويساعد ذلك فعلاً، ولكن مع الاسف فان الهامش لايقل نقصاً وعيوباً عن المتن ان لم يكن اكثر منه، وذلك نتيجة عدم معرفة المجموعة باسلوب كتابة البحث التاريخي ومنهجه العلمي في ذلك. الامر الذي اوقعها في اخطاء وشطحات تعتبر بعضها خرقاً واضحاً للامانة العلمية التي يجب الالتزام بها من اي باحث اكاديمي منهجي ناجح، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

اولاً: تسطر المجموعة عدداً من المصادر الروسية لم تطلع عليها او تتصفحها اطلاقاً نظراً لعدم توفرها في مكتباتنا الفقيرة من جهة، وعدم المام اي مشارك من المجموعة باللغة الروسية وقراءة الكتابة الروسية، ولكنها اقتبستها جملة وتفصيلاً من كتاب لـ(بارمتي) والعجيب في ذلك ان المجموعة اقتبست بعضاً من هذه المصادر ونقلتها بشكل خاطيء كما ورد في هامش رقم (٢ . ٥) وبعضها سطرت حتى دون

الاشارة الى المقتبس منه الا وهو (بارمتي)، كمثال لذلك الهامش رقم (٦. ٧، ١٧، ٢٦، ٣٠، ٣٥) وهكذا يصل عدد الاشارات الى هذه المصادر المقتبسة من بارمتي (١٣) مرة، اما المقتبس منه اي بارمتي فاشارت اليه المجموعة (١٢) مرة بشكل مستقل، وبذلك اصبح الاعتماد والاشارة الى هذا المصدر (٢٤) مرة من اصل (٦٤) هامشاً، هذا المصدر التي زورت محتوياته وحرفت اثناء ترجمتها وعلى حد قول اپرم شپيرا[٥٩] وانه ذات توجه علني معلوم لايمكن الاعتماد عليه كمصدر تاريخي موضوعي «دون اخضاعه للتدقيق والجرح والتعديل والمقارنة مع المصادر الاخرى.

ثانياً: تشير المجموعة الى ويگرام في هوامشها (١٨) مرة، اذ تقتبس منه نصوصاً غير كاملة، هذه الحالة التي تجعل من النصوص تزداد هزالة وتفقد علميتها وخاصة اذا علمنا ان كتاب ويگرام ليس اكثر علمية وموضوعية من كتاب (بارمتي) ان لم يكن اقل منه.

ثالثاً: اشارت المجموعة الى مصدر ايراني باللغة الفارسية في هامش رقم (٣٩) وهو (نگاهي به اذربيجان غربي) للباحث الايراني افشار السيساني دون رؤيته قطعياً، الا انها اقتبسته من بحثنا المنشور دون الاشارة الى ذلك، وتعد هذه (سرقة علمية) وخرقاً فاضحاً لمباديء الامانة العلمية.

رابعاً: واخيراً اشارت المجموعة الى مصادر وصفحات لايوجد فيها ما ورد وثبت من المعلومات في متن التعقيب عند مراجعتها اطلاقاً، وهامش رقم(١٥) نموذج على ذلك.

وهكذا ارجو ان تتقبل المجموعة هذه الملاحظات البسيطة بروح علمية عالية تعمل لرفع مستواها العلمي والاكاديمي والثقافي لتكون اعمالها القادمة اكثر منهجية ونضجاً واقل قصوراً ونقصاً.

المصادر والمراجع

١- سوشين. أ. ازمة النضال القومي الاشوري. اسباب ومظاهر، نجم بيث نهرين مجلة المجلد الرابع، العدد الثاني، تموز ١٩٩٦، ص٦٢.

* يقول بعض المختصين بان قول انحدار اصل النساطرة القاطنين في جبال كوردستان من الاشوريين القدماء ما هي الا بدعة اخترعها الانكليز وعلى رأسهم ويكرام في اواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد في عام ١٨٦٦ ولاغراض سياسية صرفة. انظر: سوسه، احمد، ملامح التاريخ القديم ليهود العراق، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص٧٠؛ كوركيس بيت أشيشا، كتاب الرئاسة (ريشانوثا) شيكاغو ١٩٨٧، مقتبس من:

ساوا، ابلحد افرام، لكي يكون القراء على بينة من الحقائق حول الاشوريين والكلدان، كولان- مجلة العدد ١٧، ٢٥ تشرين الاول ١٩٩٧.

٢- انظر ساوا، المصدر نفسه.

٣- ذيا كونوف، أ.م، تاريخ ماد، ترجمة كريم كشاورز، تهران ١٣٤٥ ش، ص٣٨٠؛ زوبير تسكي واخرون، المشاعة، الرق، الاقطاع. التشكيلات الاجتماعية - الاقتصادية ما قبل الرأسمالية، ترجمة: جورج طرابيشي، ط١، بيروت، ١٩٧٨، ص٤٠.

٤- للمزيد راجع:

ماركس. كارل، نصوص اشكال الانتاج ما قبل الرأسمالية، ترجمة لجنة باشراف صادق جلال العظم، بيروت ١٩٧٤.

٥- سوشين، المصدر السابق، ص٦٣.

٦- للمزيد راجع:

نهبهز. جمال، الامير الكردي، مير محمد الراوندوزي الملقب بـ (ميري كوره) برلين ١٩٨٨.

٧- قهفتان. د. كاوس، چهند لێكولینهوهیهك له مێژووی بابان، سوران، بوتان، بهغداد، ١٩٨٥، ص٦٨-٧٢؛ حسين، سعدي عثمان، كوردستان والامبراطورية العثمانية. دراسة في تطورها

السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، كلية الاداب، ١٩٩٥، ص١٤٩.
٨- جليل. جهليلى، راپهرينى كوردهكان سالى ١٨٨٠، وهرگيرانى د. كاوس قهفتان، بهغداد، ١٩٨٧،ل١٠٩.
٩- ئەسەرد. فەريد، ديديكى هاوجەرخ بو مەسەلەى ئاشوريەكان، سياسەتى دەولى گوڤار، ژماره ١، سالى سێيەم، نيسانى ١٩٩٤،ل١٩.
١٠- بارمتي. قسطنطين بتروفيج، الاشوريون والمسألة الاشورية في العصر الحديث، ترجمة ح.د.أ ١٩٨٩، ص٨٤.
١١- المصدر نفسه، ص٩٥؛ ئەسەرد، المصدر السابق، ص١٤.
١٢- انظر: تمدن. محمد، اوضاع ايران درجنگ اول جهان يا تاريخ رضائية، تهران، انتشارات كتاب فروشي اسلامة، ١٣٥٠ش.
١٣- زوبير تسكي، المصدر السابق ص١٣٣-١٣٥؛ قەفتان د. مەحەمەد فاضل، رژێمە ئابوريەكانى كومەلگاى تەكنەلوجى نوێ، بەرگى يەكەم، سلێمانى، ١٩٨، ل١٢٥-١٢٩؛ جامعة لومانا باتريسا، عرض تاريخي اقتصادي الجزء الاول، موسكو، دار التقدم.
١٤- خالفين. ن.أ، الصراع على كوردستان، المسألة الكوردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة د.احمد عثمان ابو بكر، بغداد، ١٩٦٩، ص٣١.
١٥- مقتبس من المصدر نفسه، ص٣١.
١٦- ئەسەرد، المصدر السابق، ص٢٢.
١٧- المصدر نفسه ص١٥.
١٨- تمدن، المصدر السابق، ٢٠٤.
١٩- دهقان. علي. رضائية ياسر زمين زردشت، چاپ اول، تهران، انتشارات ابن سينا، ١٣٥٨، ص٥٣٩؛موريس. هارفر بلوج. جون، لا اصدقاء سوى الجبال، ترجمة راج آل محمد، مراجعة وتقديم هادي العلوي، بيروت، ١٩٩٦، ص١٨٤.
٢٠- ويكرام. دبيلوي.. مهد البشرية الحياة في شرق كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد، ١٩٧١، ص٣٣٦.
٢١- المصدر نفسه، ص٣٣٦.
٢٢- للمزيد انظر: عاشور، د. سعد عبدالفتاح، دراسات في تاريخ الحضارة العربية، الطبعة الثانية، الكويت، ١٩٨٦، ص٢٦١-٢٦٣.
٢٣- انظر: مقدمة ويكرام، المصدر السابق ص٤.
٢٤- المصدر نفسه، ص٣٣٨.
٢٥- Kinnane. D, the Kurds and Kurdtan, London, 1946.P47.

٢٦- انظو: كسروي. احمد، تاريخ هيجده ساله اذربيجان، جاب هشتم، انتشارات امير كبير، تهران، ص٧٠٥-٧١٠؛ بژمان. عيسى، كردها وكردستان، جلد سوم، سياسي، انتشارات ژن، شهر يورماه١٣٣١ش، ص٨٢.
٢٧- دهقان، المصدر السابق، ص٥١٧.
٢٨- سجادي، علاء الدين، شورشەكاني كورد- وكورد و كوماري عيراق، بتغدا، ١٩٥٩، ل ٢٥١-٢٥٣.
٢٩- المصدر نفسه، ص٢٥٤-٢٥٥.
٣٠- احمد. كمال مظهر، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد ١٩٨٥، ص٢٥٠.
٣١- يادداشتەكانى شێخ (لەتيف)ى حەفيد، ساغ كردنوەى كمال نورى مەعروف، چاپى يەكەم، ١٩٩٥، ل٧٧.
٣٢- علي. د.عثمان سمكو ثعلب السياسة الكردية ورائدها في البرغماتية، ئالاي ئيسلام- مجلة العدد١، كانون الثاني- شباط ١٩٩٢.
٣٣- جليلي. د. جليل واخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة د. عبيد الحاج، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٢، ص١٣١.
٣٤- المصدر نفسه،ص ١٣٢.
٣٥- برونسن. مارتن فان، ايران والعشائر الكردية.. ثورة سمكو، ترجمة فؤاد حمه رشيد، كاروان. مجلة، العدد ٦٨، ايلول ١٩٨٨، ص١٤٥.
٣٦- ويكرام المصدر نفسه ص٣٣٩.
٣٧- متي. دانيال، (رويداهاي اورميه وكردستان شمالي- دسامبر ١٩١٧ تا ژوئية ١٩١٨- در ارشيوهاي نظامي فرانسه، مطالعات كردي- مجلة، باريس، مركز تحقيقات انستيوت كردي، شماره ٢١، دي ١٣٦٢ش، ص٤٥.
٣٨- Eigleton. W.Gr. the Kurds repud-ic of 1946 London, 1936, P.10.
٣٩- گرمياني. د. آزاد مصطفى باشا ياملكي في لقاء تاريخي مع سمكو، ئالاي ئيسلام، العدد الثاني، تموز ١٩٦٠.
٤٠- يادداشتەكانى شێخ لەتيف، المصدر نفسه ص٧٠.
٤١- يادداشتەكانى شێخ لەتيف، ص٧٠.
٤٢- (F.O). 964-S.no5, 18 August 1921.
مقتبس من:
الحاج، د. عزيز القضية الكردية في العشرينات، ط٢،بغداد ١٩٨٥، ص١٦٧.
٤٣- انظر: روژ كوردستان- روژنامه، ژماره ٧.٨.٣، ١٩٢٣/١١١٠، سليماني.
٤٤- قزاز، رمزى بزووتنەوەى سياسى وروشنبيرى كورد لە كوتايى چەرخى نوزدەهەمەوە تا ناوەراستى

چەرخی بیست، سلێمانی، چاپخانەی ژین، ١٩٧١، ل ١٥٧-١٥٨.

٤٥- تقی. احمد، خەباتی گەلی کورد لە یادداشتەکانی احمد تەقی دا، ڕێخستنی جلال تەقی، بەغدا ١٩٧٠، ل٧٠.

٤٦- ڕوژی کوردستان، ژمارە ٧، ١٩٢٣/١١/٣.

٤٧- قزاز المصدر السابق، ص١٩٦.

* يعلق ويگرام على ذلك بقوله «ليس في الامكان ان يصور المرء الهياج الوحشي الذي نجم عن اولئك القبليين البرابرة عندما بلغهم نبأ مقتل بطريركهم المحبوب، بل ربما لايستطيع ان يصوره الاقل منهم بداوة ففي اول لفحة من هياجهم اعملوا ايديهم ذبحاً بكرد اورمية».

انظر: ويگرام، المصدر نفسه ص ٣٣٩.

٤٨- ڕوژی کوردستان ژمارە ٨. ١٩٢٣/١٢/١٠.

٤٩- سجادي، المصدر نفسه ص٢٢٥.

٥٠- تمدن، المصدر نفسه ص ٣٠٢.

٥١- بارمتي، المصدر نفسه ص ١١٢.

٥٢- المصدر نفسه ص ١١٢.

٥٣- المصدر نفسه ص ١١٦.

٥٤- المصدر نفسه ص ١١٦.

٥٥- سجادي،المصدر السابق، ص٢٥٤.

٥٦- تمدن، المصدر السابق، ص١٨٩؛ دهقان، المصدر السابق، ص٥١٥.

٥٧- تمدن، المصدر نفسه ص ١٨٧.

٥٨- كسروي المصدر السابق، ص٧٢٧.

٥٩- شپيرا. ابرم، نموذج في تزييف تاريخ الاشوريين، الجزء الثاني، نجم بيث نهرين، العدد الثاني تموز ١٩٩٦، ص٣٢ك ساوا، المصدر السابق.